مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى (الكتاب ٦٤)

الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي

حتى نهاية القرن السابع الهجري

تأليف

الدكتور محمد بن مريسي الحارثي

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

بسم اللہ الرحمن الرحیم

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . والصلاة والسلام على صفوته من خلقه نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :—

فقد انتظمت هذه الدراسة فى مقدمة وتمهيد ، وفصول ثلاثة . تناول الفصل الأول وظيفة الشعر من منظور عربى . وعالج الفصل الثانى مفهوم النقاد العرب لمهمة النقد . أما الفصل الثالث وهو صلب هذه الدراسة فقد تناول العوامل والأسباب التى أسهمت فى تحديد ملامح الاتجاه الأخلاقى فى النقد العربى القديم منذ نشأته حتى أواخر القرن السابع الهجرى . وقد تجاوزنا هذا القرن إلى العقود الثلاثة الأولى من القرن الثامن تقريبا لنستكمل وجهة النظر المعجمية لمهمة هذا الاتجاه عند ابن منظور ، والفيروزابادى ، ووجهة النظر الدينية عند ابن تيمية . فاستأنست هذه الدراسة بآراء بعض الخلفاء والفقهاء والمفسرين ، وعلماء اللغة والشعراء ، والبلاغيين ، وعلماء الكلام ، والفلاسفة لاتصال اهتماماتهم الفكرية أحيانا بمهمة الشعر . وبهذا أصبحت النظرة إلى الاتجاه الأخلاقى نظرة شمولية ، حيث اشترك فى تحديد مهمته المهتمون برعاية الأخلاق ، والنقاد المتخصصون .

وقد اهتمت هذه الدراسة بمراعاة الجانب التاريخى من خيث التدرج الزمانى لتطور هذا الاتجاه ، كما اهتمت بمراعاة تطور الجانب الفنى ما أمكن . فكشفت الدراسة عن طبيعة الصورة الحركية لهذا الاتجاه فى جانبيها التاريخى والفنى .

د . محمد بن مريسي الحارثي

تمهيد

جاء فى اللسان (الخلق) بضم اللام وسكونها . بمعنى الطبيعة التى يخلق بها الإنسان . وهو الدين ، والطبع ، والسجيّة . والجمع أخلاق (١) .

والأخلاق توصف بالعظم ، والمكارم ، والحسن ، والفضائل ، وأسباب الخير فى جانبها الإيجابى ، وتعنى فى جانبها السلبى القبح ، والفساد ، والرذيلة وأسباب الشر ، والدين معناه الطاعة ، والخضوع ، والذلة ، وهو الإسلام المتمثل فى طاعة الله ، والتعبد له ، ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ (٢) ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (٣) .

والطبع والطبيعة : الخليقة والسجيّة التى جبل عليها الإنسان ، والطباع ما ركب فى الإنسان من جميع الأخلاق التى لا يكاد يزاولها من الخير والشر (٤) . والسجية : الطبيعة . والخلق « مجموع العادات ، والعواطف ، والمثل ، التى تميز الفرد وتجعل أفعاله ثابتة نسبيا ، ويمكن توقع صدورها عنه » (٥) . « وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمدا ﷺ ، فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله مطلقا » (٦) .

---

(١) انظر . ابن منظور . لسان العرب . مادة (خلق) .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

(٤) انظر . ابن منظور . لسان العرب . مادة (طبع) .

(٥) مجدى وهبة . معجم مصطلحات الأدب (بيروت ١٩٧٤ م) ص : ٦٥ .

(٦) ابن تيمية . مجموع الفتاوى : نشر عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المغرب ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) جـ ١٠ ، ص : ٦٥٨ .

الفصل الأول

وظيفَة الشعر من منظورٍ عَرَبي

ارتبط الفن بشكل عام والأدب بشكل خاص فى عصوره المتعددة ، وأجناسه المتميزة ، وصوره القديمة والجديدة بقيمتين بارزتين هما : المتعة والمنفعة وإن اختلفت مواقف الأدباء والنقاد حول أهمية هاتين القيمتين ، فمنهم من يرجع مهمة الأدب إلى إحداهما دون النظر إلى الأخرى إلا فى منزلة تلى المنزلة الأولى عندهم ، ومنهم من جمع بينهما فى الأهمية دون تغليب لإحداهما على الأخرى . وقد تناول كثير من النقاد والمهتمين بدراسة الأدب وظيفة الأدب على أساس هاتين القيمتين ، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب النقد — العربية والأجنبية — من الإشارة من قريب أو من بعيد إلى وظيفة الأدب ، وأكثر أولئك الذين تناولوا هذه القضية انطلقوا فى تناولهم من مبدأ الدفاع عن طبيعة الأدب التى لا تحدها حدود فى نظرهم ، ولهذا رأوا أن النظر ينبغى أن ينصرف فى تقويم الأدب من زاويته الفنية لا إلى ما يحققه من مكاسب نفعية . وسيبقى الاختلاف مستمرا بين وجهات النظر النقدية المختلفة حول وظيفة الأدب ما بقى النقد ، لأنها قضية تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ منذ أفلاطون حتى العصر الحاضر .

وستتناول الدراسة فى هذا الفصل وظيفة الشعر من خلال منظور عربى بمعنى : كيف فهم النقاد العرب القدماء وظيفة الأدب ؟ وخاصة الشعر . لأنه رأس الفنون الأدبية عندهم ، وذلك من خلال مواقفهم النقدية المتصلة بتعريفاتهم ، وحدّهم الشعر ، وحديثهم عن مهمته . كما تتناول هذه الدراسة بعض الآراء النقدية العالمية القديمة والجديدة ، وليس القصد من ذلك كشف أوجه الالتقاء والتشابه ، أو أوجه التأثر والتأثير بين المنظور العربى لمهمة الشعر وبين المواقف النقدية العالمية الأخرى التى عالجت قضية مهمة الشعر وغاياته ، وإنما لأهميّة تلك الآراء فى عرض القضية عرضا علميا يساعد على جلاء الموقف النقدى العربى من مفهوم الشعر ، لنخلص من ذلك إلى تقريب وجهة النظر العربية النقدية لوظيفة الشعر الأخلاقية ، ودور المعيار الأخلاقى فى النقد العربى فى أداء مهمته .

ولعل هذا القسم الذى يحاكى أفعال الناس كما هى لم يلق اهتماما من أرسطو ، على أن تقسيمه طرق المحاكاة أقساما ثلاثة يوحى بأنه « تقسيم يقوم على أساس خلقى لأنه يصنِّف الناس إلى أخيار وأشرار وأوساط » (١) باعتباره محاكاة انتقائية للطبيعة يجمع إلى صدق الشعور جانبا معرفيا ، ولهذا رأى .. أرسطو « أن وظيفة الشعر قد تكون نافعة إلى أقصى غاية » (٢) كما أن نظرية التطهير التى كانت واضحة فى معالجته للتراجيديا تبعث فى النفس متعة ونفعا تتحقق المتعة فى ما تثيرة المأساة من انفعالات تحرِّك عاطفتى الخوف والرحمة ويتحقق النفع فى توجيه تلك الانفعالات توجيها خلقيا يقوِّم السلوك ويعدِّل توجهات العواطف الى ما يصلحها لأن التراجيديا كما يقول أرسطو « محاكاة فعل جليل ، كامل ، له عظم ما ، فى كلام ممتع ، تتوزع أجزاء القطعة عناصر التحسين فيه ، محاكاة تمثل الفاعلين ولا تعتمد على القصص ، وتتضمن الرحمة ، والخوف ، لتحدث تطهيرا لمثل هذه الانفعالات » (٣) فتنتصر الأفعال السوية على الأفعال غير السوية لأن الفضائل لا تتحقق بفعل الطبع وحده ، أو بضد إرادة الطبع ، وإنما تتولد من عادات وشيم تكتسب بعد الممارسة الفعلية (٤) . أما الشاعر الرومانى هوراس فقد جدد رسالة الشعر وغايته فى الإفادة ، والإمتاع فالشعر يثير اللذة ويشرح عبر الحياة فى آن واحد فمهمته تحقيق « الممتع والمفيد » (٥) فالشعر يعلّم من خلال المتعة ، والمتعة لا تتحقق إلا بإثارة العواطف ، ومصدر الإثارة يكمن فى الصورة التعبيرية الموحية ، وكلما

---

(١) فى الشعر : ص : ح .

(٢) لاسل آبر كرمبى – قواعد النقد الأدبى . ترجمة د . محمد عوض محمد (مصر : ١٩٥٤ م) : ص : ٧٧ .

(٣) فى الشعر : ص : ٤٨ .

(٤) انظر أرسطوطاليس . علم الأخلاق . ترجمة أحمد لطفى السيد (مصر ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٤ م) جـ ١ : ص ٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٥) رينيه ويليك وأوستن وأرين . نظرية الأدب . ترجمة محيى الدين صبحى . (دمشق ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) : ص : ٣٢ .

« ليست طبيعة الشعر فى كونه جزءا أو صورة من العالم الحقيقى .... وإنما هى فى كونه عالما قائما بذاته كاملا ومستقلا . ولكى تمتلك الشعر تماما يتحتم عليك أن تدخل هذا العالم وتراعى قوانينه ، وتتجاهل إبان ذلك كل ما يخصك فى العالم الحقيقى الآخر من معتقدات وغايات وظروف خاصة » (١) ومن هنا تصبح التجربة الشعرية تجربة مستقلة بل وغاية فى حد ذاتها ، تبرز قيمتها الجمالية من خلال تفكيكها داخليا دون الالتفات إلى أية اعتبارات غائية تقلل من قيمها الجمالية إذ لم تعد مهمة الشعر مهمة أخلاقية تربوية أو تعليمية مباشرة ، كما أن الأخلاق والقيم قد تشتق من تلك القيم الجمالية البحته نظرا لما يحققه الشعر المثالى من تشكيل جديد لمادة الكون تسمو بالعواطف الإنسانية لتفقد انتماءها إلى الحياة ولو إلى حين ، وقد رأى الدكتور محمد مندور أن « الفن للفن يلعب فى الحياة النفسية دورا هاما إذ يفتح القلوب والعقول لجمال الطبيعة فيزداد اطمئنان الفرد إليها ، وسكونه إلى رحابها ، وهو بمثابة واحات نلقاها فى وعثاء الحياة على طول شوطها المضنى ، ومن البين أن من وظائف الأدب أن يسلبنا – ولو إلى حين – جانبا من همومنا ، ويعزينا عن قسط من آلامنا . والفن للفن لا يؤدى هذه الوظيفة فحسب بل ويؤديها مع تغذية حاسة الجمال التى تنهض فى حياتنا بدور أبعد أثرا مما توهم الملاحظة السطحية » (٢) .

وهذا الموقف التبريرى الذى ارتآه الدكتور محمد مندور على وجاهته وعمقه لا ينهض وحده دليلا على سلامة مذهب المدرسة الفنية وعلى حسن توجهها فيما يخص وظيفة الفن كما رأى حتى ولو اقتصرت العملية التطبيقية لهذه المدرسة الفنية على شعر الوصف الذى قد تجد فيه بغيتها حيث إن القيمة

---

(١) إ.ا. رتشاردز . مبادىء النقد الأدبى : ص ١٢٥ .

(٢) فى الأدب والنقد (مصر ١٩٧٣ م) ص : ١٤١ .

وستكون النظرة إلى ذلك أشمل وأوسع إذا أشرنا إلى بعض تعريفات الفلاسفة والعلماء العرب للشعر ، مبتدئين بالتعريفات التى حاولت أن تحدّ الشعر بما يميزه عن غيره من فنون القول والتى اهتمّت بالشكل الخارجى للشعر أكثر من اهتمامها بصورة الشعر وماهيته . فقد رأى ابن سلام أن « المنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، والشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافى ، والمتكلم مطلق يتخير الكلام » (١) . وعند المبرد أن « صاحب الكلام الموصوف – الشاعر – أحمد لأنه أتى بمثل ما أتى به صاحبه وزاد وزنا وقافية » (٢) . فالوزن والقافية هما ما يميز بين الشعر والنثر ، والشعر عند قدامة بن جعفر : « قول موزون مقفّى يدل على معنى » (٣) . وحدوده عند الحاتمى « اللفظ والمعنى والوزن والتقفية » (٤) . وعند ابن فارس « كلام موزون مقفّى دل على معنى ويكون أكثر من بيت ..... لأنه جائز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر عن غير قصد » (٥) . وقد أشار الباقلانى إلى أن العرب تعارفوا على أن الشعر هو « الكلام القائم على الأعاريض المحصورة المألوفة » (٦) . وروى التوحيدى عن أبى الحسن العامرى أن الشعر « كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة : بقواف متواترة ، ومعان معادة ، ومقاطع موزونة ، ومتون معروفة » (٧) . وقد كشف من قبل عن علاقات مشتركة بين النثر والشعر ورأى أن فى كل منهما ظلا للآخر (٨) . ولم يخرج المرزوقى عن تعريف قدامة

---

(١) طبقات فحول الشعراء . تحقيق محمود شاكر (مصر ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م) جـ ١ : ص ٥٦ .

(٢) البلاغة . تحقيق د . رمضان عبد التواب (مصر ١٩٦٥ م) ص : ٨ .

(٣) نقد الشعر ، تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجى (مصر ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م) ص : ٦٤ .

(٤) الرسالة الموضحة . تحقيق د . محمد يوسف نجم . (بيروت ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م) ص : ٢٥ .

(٥) الصاحبى . تحقيق السيد أحمد صقر . (مصر ١٩٧٧ م) ص : ٤٦٥

(٦) إعجاز القرآن . تحقيق السيد أحمد صقر . (مصر ١٩٦٣ م) . ص : ٥١ .

(٧) المقابسات . تحقيق حسن السندوبى (مصر ١٩٢٩ م) ص : ٣١٠ .

(٨) المصدر السابق : ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

كان مخطئا ، وكان شعره مرذولا ، وربما أخرجه عن كونه شعرا » (١) ، ويتضح من التعريفات السابقة أنها تعريفات شكلية متشابهة لم تتناول عملية الابتكار وأهميتها ولم تشر إليها ، لكنها مع ذلك ذات قيمة لا تنكر لأنها كانت نتيجة وعى جماعى من النقاد والعلماء بقيم وتقاليد الشعر العربى الخارجية ، حتى أصبحت هذه القيم تشكل جزءا من مقومات نظرية عمود الشعر العربى ، على أن هذا الاتفاق بين جمهرة النقاد فى تعريف الشعر بأنه كلام موزون مقفّى يدل على معنى ، يوحى للوهلة الأولى أن النقد العربى نقد شكلى ، وأن جل اهتمام النقاد العرب إنما انصبّ فى معالجة الأطر الخارجية للشعر ، لكن هذا الإيحاء سرعان ما يتلاشى ولا يستقر ، فقد تبدّت من خلال تلك التعريفات السابقة بعض الاجتهادات اليسيرة جدا التى كادت أن تلامس طبيعة الشعر من داخله كالتعريفات التى أشارت إلى أهمية الغريزة والنية والقصد ، ففى اشتراط الغريزة لقبول الشعر إشارة إلى طبيعة الشعر العاطفية كما أن فى النية والقصد عودة بطبيعة الشعر إلى مبدأ الطبع وصدق الإحساس ، وستتضح هذه الاجتهادات التى لامست جوهر الشعر فى تعريفات النقاد التى تناولت الصورة الشعرية وتمحورت حول الكشف عن جوهر الشعر لا باعتبار شكله فحسب ولكن باعتبار أهم عناصره الداخلية ، فابن سلام يرى أن « للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات » (٢) . والشعر عند عرب الجاهلية : « ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون ... قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » (٣) . وقد رأى الجاحظ أن قيمة الشعر تكمن فى « إقامة الوزن وتخيّر اللفظ ، وسهولة المخرج (وكثرة الماء) وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر

---

(١) إعجاز القرآن . ص ٥٩ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : جـ ١ : ص : ٥ .

(٣) المصدر السابق جـ ١ / ص : ٢٤ .

الصنعة ، من غير نقص منها ولا زيادة عليها » (١) .

وقال القاضى الجرجانى : « إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز » (٢) وأحسن الشعر عند الباقلانى « ما كان أكثر صنعة وألطف تعمُّلا وأن يتخير الألفاظ الرشيقة للمعانى البديعة والقوافى الواقعة » (٣) ليكون ذلك أبين وألطف « فى تصوير ما فى النفس للغير » (٤) . أما المرزوقى فقد نقل قول بعضهم : « أقسام الشعر ثلاثة : مثل سائر ، وتشبيه نادر : واستعارة قريبة » (٥) . ويقدم ابن وهب تصورا جديدا لمعنى الشعر وذلك فى قوله : « الشاعر من شعر يشعر فهو شاعر ، والمصدر (الشعر) ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتى بما لا يشعر به غيره ، وإذا كان إنما يستحق اسم الشاعر لما ذكرنا فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر ، وإن أتى بكلام موزون مقفى » (٦) . وفى العمدة : « وإنما سمى الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره » (٧) وقال غير واحد من العلماء « الشعر ما اشتمل على المثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع » (٨) . وهو « ما أطرب وهزّ النفوس وحرّك الطباع » (٩) وقال ابن خلدون : « الشعر هو الكلام البليغ المبنى على

---

(١) الموازنة . ص ٣٨٢ .

(٢) الوساطة : تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى ... (مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) ص : ١٥ .

(٣) إعجاز القرآن : ص : ١١٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١١٩ .

(٥) شرح ديوان الحماسة . جـ ١ ص ١٠ .

(٦) البرهان فى وجوه البيان . تحقيق د . حفنى محمد شرف (مصر ١٩٦٩ م) ص ١٣٠ .

(٧) ابن رشيق جـ ١ : ص ١١٦ .

(٨) المصدر السابق : جـ : ١ ، ص : ١٢٢ .

(٩) المصدر السابق : جـ ١ ، ص ١٢٨ .

بل لم يكن لهم علم أصح منه ، والشعر هو فن القول الذى برع فيه العرب وأودعته أخبارها وأيامها وأنسابها ولكن بالأداء الشعرى وليس بالأداء ... المعرفى ، أضف إلى ذلك تأكيدهم على الأمثال السائرة فى الشعر والتعبير الصادق عن التجارب القائمة فى النفوس .

ولعل النقاد الذين عالجوا الصورة الشعرية مستقلة عن الناحية النفعية لم يهدفوا دائما إلى تغليب الجانب الفنى على الجانب الغائى فى الأهمية بالنسبة لوظيفة الشعر ، فهم إنما عالجوا الصورة بشىء من الاستقلال دون أن ترتبط معالجتهم بوظيفة الشعر ، حيث أننا نجد لكثير من هؤلاء النقاد الذين تناولوا دراسة الصورة مستقلة عن الوظيفة النفعية مواقف وآراء نقدية نظرية وتطبيقية جمعت بين الوظيفتين الفنية والنفعية فى الأهمية ، وستتضح هذه المواقف والآراء النقدية عندما نستكمل الوقوف على تعريفات النقاد للشعر والتى تناولت ماهية الشعر وربطت بين قيمه الفنية والأخلاقية بشكل واضح ؛ خاصة عند أولئك النقاد الذين امتزجت نظراتهم النقدية بنزعة عقلية مع تفاوت فى نسبة توظيف تلك النزعة العقلية لآرائهم النظرية والتطبيقية . فقد ربط ابن قتيبة الشعر بالقيم المعرفية فى مقدمته لكتاب الشعر والشعراء حين قال : « وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره ، وعمَّن رفعه الله بالمديح ، وعمَّن وضعه بالهجاء ، وعمَّا أودعته العرب من الأخبار النافعة ، والأنساب الصحاح ، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة ، والعلوم فى الخيل ، والنجوم وأنوائها والاهتداء بها ، والرياح وما كان منها مبشِّرا أو جائلا ، والبروق وما كان منها خلَّبا أو صادقا ، والسحاب وما كان منها جهاما أو ماطرا »⁽¹⁾ . وقد قسم الشعر أربعة أقسام : مثالى وهو ما حسن لفظه وجاد معناه ووسط وهو ما تقدم أحد ركنيه على الآخر ، وردىء وهو ما تأخر لفظه وتأخر معناه ،

---

(١) تحقيق أحمد محمد شاكر (مصر ١٩٦٦ م) جـ ١ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

كما أن لأضدادها أيضا حالات تزيد فى الحط ممَّن وسم بشىء منها ، ونسب إلى استشعار مذمومها ، والتمسك بفاضحها » (١) ولأن الشعر إنما يتناول أمورا « قائمة فى النفوس والعقول .... فتدفع به العظائم وتسل به السخائم وتخلب به العقول ، وتسحر به الألباب لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى » (٢) .

ولعل إلحاح ابن طباطبا على مبدأ الصدق فى الشعر قد عمق نظرته الأخلاقية فى النقد (٣) . كما أن تطلبه فى الشعر أفكارا أخلاقية يدعو إلى التكثر من حفظها أحيانا يؤكد تلك النظرة الأخلاقية عنده (٤) .

أما قدامة بن جعفر ؛ فإن موقفه من نعوت المديح ، وإرجاع الشعر إلى مبدأ الفضيلة خير دليل على أن مهمة الشعر عنده قد ارتبطت بغاية أخلاقية وهذه الفضائل « هى : العقل والشجاعة والعدل والعفة » (٥) . فالمادح بهذه الخصال أو ببعضها مصيب والمادح بغيرها مخطىء ، والفضائل من حيث هى قيمة نفعية مكتسبة عن طريق التعلم والممارسة ، واكتسابها عن طريق الشعر لا يتم إلا ببعدها الجمالى ، ولهذا اهتم قدامة بمعالجة الصورة الشعرية المؤثرة مؤكِّدا على بلوغ الغاية فى ذلك .

وقد عرف حازم القرطاجنى الشعر بأنه « كلام موزون مقفّى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما تضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام ، أو قوة صدقه ، أو قوة شهرته

---

(١) عيار الشعر ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) انظر المصدر السابق : ص ١٢ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٨٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٤) انظر المصدر السابق . ص ٨٣ .

(٥) نقد الشعر . ص : ٩٦ .

الثالث فى مهمة الشعر الأخلاقية ، ويتميَّز عنه فى الإلحاح على المبدأ الأخلاقى فى الشعر . إذْ رأوا أن حصول الالتذاذ بتخييل الفضائل شرط يقصد إليه فى صناعة الشعر فالفارابى كان يرى أن قوام الشعر وجوهره « هو أن يكون قولا مؤلفا مما يحاكى الأمر ، وأن يكون مقسوما بأجزاء ينطق بها فى أزمنة متساوية ، ثم سائر ما فيه ، فليس بضرورى فى قوام جوهره وإنما هى أشياء يصير بها الشعر أفضل . وأعظم هذين فى قوام الشعر هو المحاكاة وعلم الأشياء التى بها المحاكاة وأصغرها الوزن » (١) أما التراجيديا عنده « فهو نوع من الشعر له وزن معلوم يلتذ به كل من سمعه من الناس أو تلاه يذكر فيه الخير ، والأمور المحمودة المحروص عليها » (٢) وقال ابن سينا : « إن الشعر : هو كلام مخيِّل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة » (٣) . ثم قال : « والمخيِّل هو الكلام الذى تذعن له النفس فتبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير رويَّة وفكر واختيار ، وبالجملة تنفعل انفعالا نفسانيا غير فكرى سواء كان المقول مصدَّقا به أو غير مصدَّق ، فإن كونه مصدَّقا به غير كونه مخيِّلا أو غير مخيِّل : فإنه قد يصدِّق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه » (٤) . وقد ربط ابن رشد الشعر بغاية أخلاقية فى قوله : « ليس يقصد من صناعة الشعر أى لذة اتفقت ، لكن إنما يقصد بها حصول الالتذاذ بتخييل الفضائل » (٥) وقد أورد على بن محمد الجرجانى ما اصطلح عليه المنطقيون من أن الشعر « قياس مؤلف من المخيِّلات ، والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير » (٦) .

---

(١) جوامع الشعر ، تحقيق د . محمد سليم سالم (مصر ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) أرسطوطاليس . فن الشعر . ترجمة . عبد الرحمن بدوى (بيروت ١٩٧٣ م) ص : ١٥٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٦١ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٦١ .

(٥) تلخيص كتاب أرسطوطاليس فى الشعر ص : ١٠٥ .

(٦) التعريفات . (بيروت ١٩٧٨ م) ص : ١٣٢ .

خصائصه الجمالية مستقلة عن القيم المعرفية وممتزجة مع تلك القيم مرَّةً أخرى ، مؤكدة استقلاليته وتفرده بتلك الخصائص القائمة على التصور العربى الإسلامى للكون والحياة والإنسان . وهذا كله يؤكد توظيف الاتجاه الأخلاقى فى النقد العربى القديم عند النقاد والمفكرين ، لكن الذى جعل لهذا الاتجاه أهميته ودوره الذى لا ينكر فى قوام الشعر هو هذا الهدى الربانى الكريم الذى جاء فى محكم التنزيل ففرَّق بين الشعراء الغاوين والشعراء المؤمنين الصالحين ثم التوجيه النبوى الكريم للشعر والشعراء ، ومواقف الخلفاء الراشدين ومن اهتدى بهديهم .

ويبدو أن وقفة ولو سريعة عند وظيفة النقد الأدبى قبل دراسة الآراء النقدية التى تناولت الاتجاه الأخلاقى فى النقد العربى القديم – هى من صميم اكتمال التصور النقدى المتصل بمفهوم الأخلاق فى النقد العربى .

* * *

الفصل الثانى

وَظيفَة النقد

النقد فى اللغة تمييز الدراهم وغيرها .

تنفى يداها الحصى عن كل هاجرة نفى الدنانير تنقاد الصياريف

ومن معانيه : النقر واختلاس النظر إلى الشيء ، وإظهار المعايب كما فى الحديث : « إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك » .

والنقد الثمن . « كما تنوقد عند الجهبذ الورق » .

ومن المجاز . هو من نقَّادة قومه : من خيارهم ، ونقد الكلام وهو من نقدة الشعر ونقَّاده وانتقد الشعر على قائله (١) .

وقد سبق بعض النقاد الزمخشرى إلى استعمال كلمة النقد بهذا المفهوم الأخير فسمى قدامة بن جعفر كتابه النقدى (نقد الشعر) وهو يعنى بذلك تمييز جيد الشعر من رديئه وذلك بالبحث عن عناصره المكونة له من لفظ ووزن وقافية ومعنى (٢) .

وقد وظف هذا المفهوم الاصطلاحى للنقد للحكم على الأدب عند جمهرة النقاد القدماء ، فأصبحت مهمة النقد تعنى بدراسة النص الأدبى وإبراز ما فيه من عناصر الجودة أو الرداءة تمهيدا للحكم عليه .

وقد مارس النقاد العرب هواياتهم النقدية فى وقت مبكر من حياتهم فقد سجل كتَّاب القرنين الثانى والثالث الآراء النقدية التى أثرت عن الجاهليين حتى عصرهم ، وقد غلب على تلك الآراء الإيجاز الشديد ، والوقفة السريعة أمام النصوص ، وكان الانطباع الشخصى هو السمة المميزة لتلك الآراء . أما الكتب الأدبية والنقدية التى رصدت الحركة النقدية منذ الجاهلية فقد اهتمت بمعالجة أهم القضايا النقدية ، كقضية القديم والجديد فى الشعر ، وقضية اللفظ والمعنى ، وقضية الطبع والصنعة ، وقضية السرقات ، وغير ذلك من القضايا

---

(١) انظر الزمخشرى . أساس البلاغة (مصر ١٩٦١ م) مادة . (نقد) .

(٢) انظر ص : ٦١ .

فى شعره حتى تفرغ منه » (١) . وجعل ابن طباطبا الفهم الواعى عياراً لقبول الشعر أو رفضه » وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف ، وما مجَّه ونفاه فهو ناقص (٢) فالاعتدال فى الصنعة يقبله الفهم والاضطراب فيها ممجوج لا يقبله الفهم ، وفى هذا تقليل لأهمية دور الذوق الأدبي فى العملية النقدية ، وإعطاء الفهم حرية كبيرة فى الحكم على الأدب . وقد التقى الآمدى مع ابن سلام فى إبراز أهمية خصوصية النقد فرأى أن نقد الشعر والارتياض فيه لا يتحقق « إلا بالدربة ودائم التجربة ، وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلَّت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج بها وإلا فلا يتم ذلك » (٣) فالطبع ركيزة أساسية فى العملية النقدية ، ولكنه لا ينهض وحده بهذه المهمة ، وإنما تعضده الثقافة الأدبية الأصيلة والتى من مهمتها أن تمد الناقد بعنصرين أساسيين فى العملية النقدية هما : ترقيق ذوقه وصقله أولا ، ووقوفه على المعايير النقدية المستخلصة من الأنماط المثالية لتلك الثقافة الأدبية ثانيا . وهذا بطبيعة الحال يعينه على تحديد موقفه النقدى من الأعمال الأدبية بشيء من الاتزان والاعتدال والانضباط إذا وظف هذه الأدوات فى صورة معتدلة لا تطغى فيها المعيارية على الذوقية أو العكس ؛ إذ الإسراف فى توظيف أحدهما على حساب الآخر يحدث خللا واضحا فى الموقف النقدى جملة . وقد وقف القاضى الجرجانى فى الطرف المقابل لموقف ابن طباطبا الذى أعطى العقل حرية كبيرة فى الحكم على العمل الأدبى حيث جعل مقاييسه النقدية نابعة من طبيعة الشعر ذاته فإذا كان مصدر الشعر انفعالا نفسيا فإن النقد ينبغى أن يكون كذلك « والشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجَّة ، ولا يحلى فى الصدور بالجدال والمقايسة ، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة ،

---

(١) الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٨٢ .

(٢) انظر عيار الشعر . ص ٢٠ .

(٣) الموازنة . ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

معلومة ، وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل » (١) . فعبد القاهر يريد من الناقد أن يمارس مهمته النقدية بشيء من المعاناة وبذل الجهد فلا يستسلم لاستجابته الأولى ويقف عندها ولا يتعداها ، وهذا يؤكد اعتماد النقد الأدبى على ملكتين هامتين : إحداهما ، غريزية تتمثل فى طبع الناقد ومدى استعداداته الفطرية ، والأخرى مكتسبة تتمثل فى العنصر الثقافى بمعناه الشمولى .

ومع أن العمل الأدبى « تنظيم معقد بدرجة عالية وذو سمة متراكبة مع تعدد فى المعانى والعلاقات » (٢) ؛ فإن النقد فى رأى بعض العلماء أشد من نظم الشعر ، قال أبو عمرو بن العلاء : « انتقاد الشعر أشد من نظمه ، واختيار الرجل الشعر قطعة من عقله » (٣) . وهذا التصور المبكر الذى جسَّد معاناة الناقد قد أكَّد أيضا أن مهمة النقد مهمة معقدة بل هى أكثر تعقيدا من العملية الإبداعية ، فالنقد على هذا الأساس عملية إبداعية وفكرية فى آن واحد .

ولما كان الأدب سابقا على النقد فإن الذين يدعون إلى التنظير المسبق فى الأدب ويجعلون الأديب ينتقل من مرحلة التنظير إلى مرحلة الإبداع قد لا ينجحون فى مهمتهم تلك ، لأن التنظير مرحلة تالية لمرحلة الإبداع ، والنظريات النقدية التى تناولت الأجناس الأدبية المتعددة منذ العهد الإغريقى إلى العصر الحديث إنما استخلصت من أعمال أدبية راقية على مر العصور ، وقد تبيَّن من تلك النظريات أن لكل زمان أذواقا ومعايير جديدة . فالنظرية الكلاسيكية مثلا لم تصمد أمام مظاهر التجديد الحديثة ، وقضية عمود الشعر العربى لم تكن قانونا ملزما للشعراء المتأخرين ، والإبداع لا يمكن بحال من

---

(١) دلائل الإعجاز . تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجى (مصر ١٩٦٩ م – ١٣٨٩ هـ) ص : ٨٥ .

(٢) رينيه ويليك . أوستن وارين . نظرية الأدب . ص : ٢٩ .

(٣) الأصفهانى . أبو القاسم حسين بن محمد الراغب ، المختار من كتاب محاضرات الأدباء . اختيار أنور الجندى (مصر ١٩٦٠ م) . ص : ٣٨ .

خارجه من مسببات وعن كل المؤثرات الخارجية التى أثرت فيه من قريب ، أو من بعيد . وهذا الاتجاه النقدى الجديد (البنيوية وفروعها) والذى اتجهت إلى الأخذ به كثير من الدراسات النقدية العربية الحديثة يقوم على تقويض النص وهدمه ثم إعادة بنائه من جديد أو كما يقول جيروم : « إننا نقتل لكى نشرح » (١) ... فالنقد من هذا المنظور إنما يتناول العلاقات اللغوية القائمة بين البنيات الداخلية للنص وربطها أحيانا ببعض العلاقات الذهنية المتصورة لالتقاط قيمة النص التقديرية الأدبية والمعرفية . وإن كان تحقيق الأخيرة أقرب وأيسر من تحقيق الأولى .

ويبدو أن تحقيق النتائج النقدية السليمة من خلال تطبيق هذا الاتجاه أمر غير ميسور ، إذ تتدخل عوامل وأسباب أخرى عندما يضعف مبدأ الحيدة أمام النص نتيجة تدخل التأويل والتبرير اللذان يحتلان مساحة لا يستهان بها على أرضية العملية النقدية أيا كان حجمها ، أضف إلى ذلك أن الناقد لن يتخلى بحال من الأحوال عن ذوقه الخاص أو عن ميوله الثقافية ، وهذا بطبيعة الحال سيؤثر على رؤيته النقدية ولربما وجه النص وجهة تحقق بعض رغبات ذلك الناقد دون أن يشعر بها أحيانا ، ومن الملاحظ فى الوقت الذى تنقطع فيه صلة النص عن مؤثراته الخارجية جميعها تبقى صلة الناقد وثيقة بمؤثرات لا تنفك عن ذوقه وذهنه ألبتة ممّا قد يكون له أثر واضح فى توجيه النص وجهة غير طبيعية بالإضافة إلى خضوع النص لتنازع الآراء التى تأتلف حينا وتختلف أحيانا ولا تثبت إلا بقوة الخصومة والحجاج ، ولو أراد الناقد أن يتخطى هذا المأزق عن طريق تخطيط منهج نقدى يحدده قبل الشروع فى دراسة النص وتحليله لصدر عن معيارية نقدية قررها سلفا ، وهذا لا يتفق مع مبدأ الحيدة التامة التى دعا إليها أصحاب هذا الاتجاه النقدى ، ومن المعروف أنه ليس من مهمة النقد أن يعالج أمورا لا تتصل بالنص ، لأن ذلك يبعده عن مهمته

---

(١) النقد الفنى . ترجمة د . فؤاد زكريا . (مصر ١٩٧٤ م) ص : ٥٧٠ .

الفصل الثالث

حَركية الاتجَاه الأخلاَقِي

(١)

لم يصل الشعر الجاهلى الذى هو ديوان العرب وأصح علومهم إلى درجة النضج فى خصائصه ومقوماته الفنية والشكلية منعزلا عن النقد ، وافتراض ملازمة النقد للشعر الجاهلى أمر وارد لا يمكن إغفاله . قال أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (١) . وعلوم العرب المعروفة فى الجاهلية هى : علم الأنساب ، والتاريخ ، والأديان ، والرؤيا والأنواء (٢) . ولعل علم الشعر من العلوم العربية التى لم تصل إلى عصور التدوين فى صورتها الصحيحة ؛ فقد سجّل بعض كتاب القرنين الثانى والثالث الهجريين ما أثر عن الجاهليين من مواقف نقدية غلب على أكثرها الانطباع الشخصى ، والنظرة السريعة العجلى ، وقد اهتمت تلك المواقف النقدية بالعادات والتقاليد العربيَّة فى الشعر ، سواء فيما يتصل بالمعانى أو ببعض العيوب الشكلية .

أما موقف النقد الأخلاقى من الشعر الجاهلى فإن المتتبع لطبيعة الحياة العربية فى العصر الجاهلى يقف على أنماط متعددة من القيم والعادات والتصورات التى تشكل فى مجموعها تصوُّر الجاهليين لعلاقاتهم بكل ما يحيط بهم ، وذلك من خلال ما تمدهم به تلك القيم والعادات من فضائل ومثل تحقق فى نظرهم الخير والصلاح لحياتهم ، وكان من أبرز تلك المثل القيم الدينية فقد « كانت كثرة العرب فى الجاهلية وثنيّة تؤمن بقوى إلٓهية كثيرة تنبث فى الكواكب ومظاهر الطبيعة » (٣) . فوجود بقايا الحنيفيّة ، وعبادة الأصنام وبقايا الديانتين اليهودية والنصرانية فى جزيرة العرب لم يكن ذلك كله بمعزل عن

---

(١) طبقات فحول الشعراء . جـ ١ ، ص : ٢٥ .

(٢) انظر الشهرستانى : الملل والنحل (مصر ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٨ م) جـ ٣ ص ٨٣ – ٨٥ .

(٣) د . شوقى ضيف – تاريخ الأدب العربى – العصر الجاهلى (مصر ١٩٨٢ م) ص : ٨٩ .

والفصح هو يوم عيد النصارى .

وقول المرقش الأكبر يشبه نعيب البوم وصياحه فى الليل الموحش بصوت النواقيس التى تبعث على الحركة بعد الهدوء .

وتسمع تزقاء من البوم حولنا
كما ضربت بعد الهدوء النّواقس (١)

وتجد مثل هذه الإسقاطات السريعة عند عدى بن زيد العبادى (٢) والنابغة الذبيانى (٣) ، والأعشى (٤) . وغيرهم .

أما الشعراء الذين لم يتأثروا بتصورات يهودية أو نصرانية وكانت فيهم بقية من الحنيفية فهؤلاء هم الذين تركوا صدى واضحا لخواطرهم الدينية فى أشعارهم فقد « لهجت ألسنتهم بالكثير من المعانى الدينية فى أبيات ومقطعات تصور عقيدتهم وأفكارهم وما يرتبط بها . فاتسم كثير من شعرهم بالسمة الحنيفية التى كانوا يؤمنون بها وتشغلهم تماما عن ما سواها من أمور » (٥) وهذه المعانى الدينية التى جاءت فى صورة تأملات تجدها بشكل واضح فى شعر زهير ابن أبى سلمى وتتضح أكثر فى شعر أمية بن أبى الصلت . وقد اشترك معهما فى ذلك التصور شعراء آخرون من أمثال : عبيد بن الأبرص (٦) ، وأبو قيس

---

(١) انظر المفضل الضبى . المفضليات . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون (مصر ١٩٧٦ م) ص : ٢٢٥ .

(٢) انظر . محمد على الهاشمى . عدى بن زيد العبادى الشاعر المبتكر (حلب ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) ص : ٦٠ .

(٣) انظر ديوانه تحقيق - محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر ١٩٨٥ م) ص : ٤٧ .

(٤) انظر ديوانه . (بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) ص : ٩٢ .

(٥) د . أحمد جمال العمرى . الشعراء الحنفاء . (مصر ١٩٨١ م) ص : ١٥٥ .

(٦) انظر ديوانه - (بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م) ص ٤٩ ، ٧٠ .

لتلك التصورات . وقد قسم الدكتور أحمد جمال العمرى موضوعات شعر الحنفاء قسمين : القسم الأول : شعر العقيدة الذى تناول عقيدة التوحيد والتأمل فى مخلوقات الله ، وموضوعات القضاء والقدر والقصص الدينى والحكمة . (١) والقسم الثانى : الشعر الاجتماعى الداعى للسلام والتمسك بمكارم الأخلاق ، وصلة الرحم والابتعاد عن الرذائل (٢) . وقد أورد كثيرا من الاستشهادات زادت على ثلاثمائة بيت من الشعر .

وهناك بالإضافة إلى القيم الدينية عادات وتقاليد اكتسبت صفة العرف الاجتماعى الذى استقر فى النفوس وطبعها بطابعه الخاص فلم تعد قادرة على التحول عنه بسهولة ، حتى غدت تلك العادات من الفضائل ، ومن مجموعة السلوك السوى التى تغنى بها الشعراء الجاهليون ، وفخروا باكتسابها وممارستها كتمجيدهم للفروسية وما يتعلق بها من صفات الشجاعة والمروءة وعزة النفس ، والكرم والنجدة ، وكذلك مبدأ الصدق الذى يعد أساسا مهما من أسس الفضائل ؛ فإذا كانت النظرات النقدية التى أثرت عن الجاهليين وهى قليلة لم تشر إلى الموقف الأخلاقى فى نقدهم بصورة واضحة وملموسة فإن الشعر الجاهلى قد قام بهذه المهمة ؛ حيث كشف عن أبرز القيم الروحية والاجتماعية عند عرب الجاهلية . وليس بعيدا أن يكون احترام الشعراء الجاهليين للتقاليد الشعرية المتوارثة فى عيار شرف المعنى وصحته ، وفى الشكل الخارجى لنظام القصيدة نابعا من التزام خلقى يراعى عادات وتقاليد شعرية اكتسبت استجابات نفسية معينة ومتوقعة تربط بين المبدع والمتلقى . وقد حقق الشعر الجاهلى بعض غاياته الأخلاقية الدينية والاجتماعية بما يتفق مع المنظور الجاهلى لطبيعة تلك الأخلاق ومفاهيمها ، وذلك فى حدود تبدو ضيقة إذا ما قورنت بأثر الشعر الجاهلى فى الجانب المقابل لجانب المثل والفضائل حيث كان « أثره فى

---

(١) انظر . الشعراء الحنفاء ، ص ١٥٧ - ١٨٩ .

(٢) انظر المصدر السابق : ص ١٨٩ - ١٩٥ .

(٢)

لقد وجه القرآن الكريم الناس إلى استثمار مادة هذا الكون التى تبعث على دقة التأمل وحسن التدبر ، وعمق التفكر فى آيات الله التى تثير بنظامها البديع وتناسقها المحكم حسّ الإنسان وعقله ، وتربطهما بمشاهد الكون فى الدارين الدنيا والآخرة . قال الله تعالى :

﴿ إن فى خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السمٰوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (١) . من هنا بدأت تتطور طرائق التفكير عند العرب واستتبع ذلك تطورا فى الذوق فاتسع مفهوم الأخلاق وشمل كل نشاط إنسانى قولاً وعملاً ولما كان الشعر نشاطا إنسانيا فإن نظمه ونقده ينبغى أن يتم وفق المنظور الإسلامى للشعر .

قال الله تعالى :

﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ (٣) .

وقال تعالى :

﴿ ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدَّق المرسلين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة آل عمران . آية ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنبياء . آية ٥ .

(٣) سورة يس . آية ٦٩ .

(٤) سورة الصافات . آية ٣٦ ، ٣٧ .

شاعر وهو لا ينطق عن الهوى ، وأن الشعراء إنما يصدرون فى أشعارهم عن نزعات وأحوال نفسية وأمزجة متقلبة لا تستقر على حال فكان نفي الشعر عن الرسول ﷺ فضيلة ومكرمة له ﷺ وهذا النفى لا يعنى أن الشعر معيب فى ذاته إذ لو كان الشعر معيبا فى ذاته من هذا الباب لانسحب الأمر على فنون الكتابة الأخرى ؛ لأن الرسول ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب قال الله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ (١) . والشيء اللافت للنظر فى الحقيقتين السابقتين أن مشركى العرب عندما أشاروا إلى مصادر القرآن الكريم من وجهة نظرهم ربطوا الشعر الذى عدوه مصدرا من تلك المصادر بالأحلام وأخبار الكهان ، وبما يصدر من أقوال غير منضبطة من المتلبس بالجن ، وهذه الظواهر لم تكن بعيدة عن أذهان العرب الجاهليين ، وهى ظواهر لها قيمتها الفاعلة فى تشكيل تصوراتهم الفكرية والعاطفية ووقوعهم تحت تأثيرها قبل أن يهتدوا بهدى الإسلام ، وهذا يكشف بدوره عن أن العرب الجاهليين أدركوا طبيعة الشعر ومعاناة الشعراء ، وأن من الشعر ما هو نتيجة انفعالات نفسية لا شعورية قد تصل إلى درجة الاختفاء والاستتار عن مدركات الحس : كما أدركوا أهمية الشعر وقدرته على كشف عوالم مستقبلية فى نظرهم ، كما هو الحال عند الكهان الذين يزعمون ادعاء معرفة الأسرار ، وما يحدث من أخبار فى مستقبل الزمان ، هذا فيما يخص الجانب المعرفى . أما فيما يخص الجانب التصويرى المؤثر على النفس وحملها على الاعتقاد بصدق ما يقولون . فإن الكهان « كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين ويستميلون بها القلوب ويستصغون إليها الأسماع » (٢) فالعرب قد عرفت طبيعة الأحلام ، وقوى الجن الخفية ، ودور الكهان فى التأثير على حياتهم ، كما أدركوا علاقة الشعر بهذه الظواهر باعتبار أن مصدر الشعر فى نظرهم أمر غير

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٨ .

(٢) ابن منظور . لسان العرب مادة (كهن) .

وشعراء » (١) . يضاف إلى ذلك أن القرآن لم يحرِّم قول الشعر ولم يقف دونه أو ينتقصه من حيث قيمه المعرفية إذا التزم بالحق ، وأغراض الشعر جميعها معرضّة للشاعر إذا قصد فيها تغليب جانب الخير على جانب الشر .

* * *

(٣)

أما موقف الرسول ﷺ من الشعر والشعراء فقد كان يدور حول إبراز المفهوم الجديد الذى حدده القرآن الكريم للشعر ، وقد تشكل موقفه ﷺ من الشعر فى اتجاهين . الأول : أعطى فيه الشعر أهمية باعتباره فنا معرفيا قادرا على تشكيل العقول من خلال قيمتيه المعرفية الخيرية والفنية الموحية ، وهذا هو الاتجاه الذى استأثر باهتمام الرسول ﷺ . أما الاتجاه الثانى ، فقد تناول فيه الشعر من زاوية ما يحدثه من ضرر أو أذى فذلك مذموم منهى عنه (٢) . وكانت مواقفه ﷺ قليلة فى هذا الاتجاه إذا ما قورنت بمواقفه التوجيهية للشعر والشعراء فى الاتجاه الأول . فالرسول ﷺ « بشر يتأثر بالكلمة والموقف ، وعربى فى قمة الفصاحة ، يقدر التعبير الفنى ، ويعرف خطره وعمق تأثيره فى النفوس ، ويطرب له حين يعبِّر عن مبادئ خلقية وجمالية مقبولة من وجهة الدين الجديد ، ويرفضه ويقبحه حين يكون دعوة إلى الشر أو الشقاق أو الرذيلة أو تحريضا على طرح الجدية فى الحياة والاستسلام لمباذلها » (٣) فقد كان ﷺ يأنس ببعض الشعر ويتمثل به فى بعض المواقف . وقد أشارت بعض الروايات إلى أنه ﷺ كان يسأل عن كيفية نظم الشعر ، وكان يتمثل بكلمة

---

(١) د . محمد غنيمى هلال . دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده (مصر بدون تاريخ) ص : ٢٢ .

(٢) انظر د . يحيى وهيب الجبورى . الإسلام والشعر . ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) د . محمد حسن عبد الله . مقدمة فى النقد الأدبى . (الكويت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م) ص : ٢٧٧ .

مغيّرا فى بعض لفظه غير ملتفت إلى سلامة الوزن قائلا :

اللهم لا خير إلا خير الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره (١)

وعن البراء بن عازب قال : « كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، ولقد وارى التراب بياض إبطيه وهو يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينـا إن الأُلى قد أبوا علينا

قال وربما قال :

إن الملا قد أبوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته » (٢) .

وقد ذكر أبو على القالى على لسان « ابن أبى وداعة عن جده قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر رضى الله تعالى عنه عند باب بنى شيبة فمرَّ رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحوِّل رحله
ألَا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أُمُّك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن إقتار

قال : فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبى بكر فقال : (أهكذا قال الشاعر) ؟ . قال : لا والذى بعثك بالحق لكنه قال :

---

(١) انظر الواقدى . كتاب المغازى ، تحقيق مارسدن جونس (بيروت ١٩٦٦ م) جـ ٢ : ص : ٤٥٣ .

(٢) مسلم : صحيح مسلم « مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م) جـ ٣ ص ١٤٣٠ - ١٤٣١ ، والأبيات لعامر بن الأكوع : انظر صحيح مسلم جـ ٣ : ص ١٤٢٧ - ١٤٢٨ ، وقد رويت لعبد الله بن رواحة : انظر ديوانه ص ١٣٩ ، مع اختلاف فى رواية الأبيات .

واستماع الرسول ﷺ للشعر فى مجالسه حقيقة لا يختلف عليها اثنان ، فقد استمع ﷺ للشعر مرات كثيرة ، وكان حريصا على توجيه الشعر والشعراء إلى التمسك بسنن الإسلام ، وكان يصحح بعض المفاهيم حتى تتفق مع روح الإسلام ، وقد كان كعب بن مالك ينشد والرسول ﷺ يستمع إليه حتى أتى على قوله :

« مقاتلنا عن جذمنا كلَّ فخمة .

فقال رسول الله ﷺ : لا تقل عن جذمنا ، ولكن قل : مقاتلنا عن ديننا » (١) وقد كان ﷺ يتذوق بعض الأشعار التى تحمل معانى إنسانية . فقد سمع رثاء قتيلة بنت النضر بن الحارث فى أبيها فأثر ذلك فى نفسه وقال : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » (٢) . وأبدى ﷺ إعجابه ببعض شعر النابغة الجعدى فدعا له بقوله « لا يفضض الله فاك » (٣) كما أعجب عليه الصلاة والسلام بمديح كعب بن زهير فى لاميته المشهورة التى مدح فيها رسول الله ﷺ فأمنه الرسول بعد أن أهدر دمه ، وكساه بردته تشجيعا له على إسلامه وإعجابا بشاعريته . ومع أن القصيدة كانت تراعى الشكل الخارجى الذى يتفق مع تقاليد الشعر العربى الجاهلى حيث بدأها بالغزل فإن الرسول ﷺ لم ينكر عليه منها شيئا .

أما توظيف الشعر لمساندة الدعوة الإسلامية والرد على مشركى مكة فكان محل اهتمام الرسول ﷺ : فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (٤) وعن كعب بن مالك أنه قال للنبى ﷺ « إن الله تعالى قد أنزل فى الشعر ما أنزل

---

(١) الأصبهانى ، الأغانى . جـ ١٧ : ص ٦٠٣٧ .

(٢) ابن رشيق . العمده . جـ ١ : ص ٥٧ .

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٢٨٩ .

(٤) المناوى . فيض القدير . (بيروت ١٣٩١ – ١٩٧٢ م) جـ ٣ : ص : ٣٤٤ .

الشجاعة والكرم (١) فأجابه حسان بن ثابت بقصيدة عينية على وزن قصيدة الزبرقان وقافيتها ، وقد مزج فيها حسان بين بعض سنن الإسلام وبين تقاليد الشعر العربى الجاهلى فى الفخر (٢) . وقد بدأ الشعر فى هذه المرحلة يقوم بوظيفة مزدوجة ، فهو ينافح عن الرسول ﷺ وينال من خصومه ، وفى الوقت نفسه يحاول أن يؤسس مفهوما جديدا للشعر على مراعاة تبصير الناس بسنن الدين الإسلامى ، وتوجيههم إلى تمثلها واكتسابها والعمل بها . وهذا المفهوم التوجيهى للشعر كان واضحا عندما قرر الرسول ﷺ ورود الحكمة فى الشعر . فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » (٣) .

إن هذه الخطوة التى لقيها الشعر الحسن عند الرسول ﷺ توضح بجلاء أهمية الشعر العربى فى ممارسة دوره الإيجابى الفعّال على مسرح الحياة فى جوانبها المتعددة ؛ خاصة وأنه الفن الذى برع فيه العرب ، واحتل مكانة كبيرة فى نفوسهم ، فى جاهليتهم وإسلامهم ، وهذا الاهتمام بالشعر هيأه للقيام بدور بارز فى التأثير على مشاعر الناس وأذهانهم . وحتى يبقى الشعر مستمرا فى أداء مهمته فى الحياة ينبغى له أن ينسجم مع متطلبات هذه المرحلة الجديدة من حياة العرب ، فيعرضها فى رؤية فلسفية جديدة توافق الحق والخير والجمال فى مفهوم الإسلام .

---

(١) انظر ديوانه . تحقيق د . مسعود محمود عبد الجابر (بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ص ٤٦٠ - ٤٧ ، ومطلع قصيدة الزبرقان :

نحن الكرام فلا حىٌّ يعادلنا
منا الملوك وفينا تنصب البيع

(٢) انظر ديوانه (بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) ص ١٤٥ - ١٤٦ ومطلع القصيدة :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنّةً للناس تتبع

(٣) ابن الأثير الجزرى . جامع الأصول فى أحاديث الرسول . جـ ٥ : ص ١٦٣ .

وقد وردت بعض الروايات الأخرى التى نهى الرسول ﷺ فيها عن رواية بعض الشعر ، فقد نهى ﷺ عن رواية قصيدة أمية بن الصلت التى حرض فيها قريشا على المسلمين بعد معركة بدر (١) . كما نهى عن رواية شعر الأعشى الذى كان قد هجا به علقمة بن علاثة لما دخل هذا فى الإسلام وحسن إسلامه (٢) . هذه الروايات التى ذم فيها الرسول ﷺ الشعر تبدو قليلة إذا ما قورنت بمواقفه التى مدح فيها الشعر . وقد دارت هذه الروايات حول ضرب من الشعر وهو شعر الهجاء ، كما أنها لم تتناول شعر الهجاء بعامة ، وإنما تناولت ما هجى به رسول الله ﷺ على ما صح من الروايات ، وهذا ينسجم مع موقفه ﷺ عندما وظف الشعر للرد على مشركى مكة وهجائهم ، كما أن موقفه من ذم الشعر الذى هجى به ينسجم تماما مع اهتمامه بالشعر الحسن الذى يدعو إلى الفضيلة ويوافق الحق ؛ وهذا كله يعطى للشعر دوره الطبيعى الذى لا ينكر فى تشكيل العقول والتأثير على توجيه سلوك الناس .

والمتتبع لمواقف الرسول ﷺ فى مدح الشعر وذمه يلمس لأول وهلة أنه أمام معيار أخلاقى جديد نظر إلى الشعر من خلاله ؛ وقد استمد هذا المعيار مقوماته من مفهوم الدعوة إلى الله . غير أن الذى ينعم النظر فى مواقفه ﷺ يدرك أنها لا تهدف إلى تكوين معيار نقدى أخلاقى محدد يحكم على الشعر من خلاله بالجودة أو الرداءة ، أو بتقدم شاعر أو تأخره ، أو بإبراز قيم أدبية ، وإنما كانت تهدف أساسا إلى توجيه الشعر والشعراء توجيها أخلاقيا يتفق مع سنن الدعوة الإسلامية ولا يخرج عنها ، ويلائم الفطر السليمة ولا يؤذيها ، ثم أصبحت مواقفه ﷺ فيما بعد أساسا بنى عليه بعض الخلفاء والعلماء وبعض المهتمين بالشعر والنقاد العرب مفهومهم لمصطلح الأخلاق فى النقد العربى .

* * *

---

(١) انظر الأصبهانى . الأغانى جـ ٤ ، ص : ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ .

(٢) انظر أبو زيد القرشى . جمهرة أشعار العرب . تحقيق على محمد البجاوى (مصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) جـ ١ : ص ٨٥ ، ٨٦ .

معرفة » (١) وقد ارتبطت أحكامه النقدية بالمعيار الأخلاقى ارتباطا وثيقا ، فكان يوظف المعيار الأخلاقى مجردا عن أية اعتبارات فنية أخرى تعطى الشعر قيمة أدبية ، وهذا هو الغالب على نقده الذى يكاد يكون صورة مكررة لموقف الرسول ﷺ من توجيه الشعر ، وقد وظف المعيار الأخلاقى فى نقده مرتبطا ببعض الاعتبارات الذوقية التى تخضع للانطباع الشخصى ؛ وذلك فى حدود ضيقة ، كما أنها تخضع أحيانا لنظرة نقدية فاحصة بصيرة بطبيعة الشعر ومذاهب الشعراء . وقد تشكل المعيار الأخلاقى المجرد عند عمر فى مواقف كثيرة ، فقد كتب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى « مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالى الأخلاق ، وصواب الرأى ، ومعرفة الأنساب » (٢) . وكان يقول : « ارووا من الشعر أعفَّه » (٣) . ورأى أن « محاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها » (٤) . وروى عنه قوله : « علموا أولادكم العوم والفروسية ، ورووهم ما سار من الأمثال ، وحسن من الشعر » (٥) .

وقال لابنه عبد الرحمن « يابنى (انسب نفسك) تصل رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ، فإن من لا يعرف نسبه لم يصل رحمه ، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف أدبا » (٦) . وقد أدرك عمر بتجاربه ما للشعر من مزية على فنون القول الأخرى ، فهو يحقق استجابات ما كانت تتحقق فى غيره من فنون القول . قال عمر : « خير صناعات العرب

---

(١) ابن رشيق ، العمدة . جـ ١ : ص : ٣٣ .

(٢) المصدر السابق . الجزء نفسه . ص : ٢٨ .

(٣) أبو زيد القرشى ، جمهرة أشعار العرب جـ ١ : ص : ٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، الجزء نفسه . ص : ٣٨ .

(٥) الجاحظ . البيان والتبيين . تحقيق حسن السندوبى . (مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) ، جـ ٢ ، ص : ٢٠٥ .

(٦) أبو زيد القرشى . جمهرة أشعار العرب جـ ١ : ص : ٣٧ .

لأن « فى ذلك شتم الحى بالميت ، وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء فى الإسلام » (١) . وحين قدم وفد غطفان على عمر رضى الله عنه سألهم عن أبيات للنابغة الذبيانى ثم قدمه على شعراء غطفان دون أن تجد تعليلا لذلك إلا ما تحمله الأبيات التى أعجب بها من موافقتها لسنن الإسلام (٢) ، فصدر فى إعجابه عن عاطفة دينية جعلته يسحب المعيار الأخلاقى إلى الشعر الجاهلى .

ويبدو الاتجاه الأخلاقى واضحا عند عمر من خلال مواقفه من بعض الأغراض الشعرية ومحاولته توجيه تلك الأغراض وجهة أخلاقية تتفق مع السنن الإسلامية ؛ وربما ارتبط إعجاب عمر بالشعر ورفضه له فى قصيدة واحدة . فقد كاد يثيب سحيم بن وثيل عبد بنى الحسحاس لو قدَّم هذا الإسلام على الشيب فى قوله :

عميرة ودِّع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا (٣)

ثم رفض عمر لحظات الهبوط التى انتابت نفسية الشاعر فى أكثر أبيات القصيدة وتنبأ له بالقتل ، وقد قتله بعض قومه عندما فضحهم بكثرة التشبيب بنسائهم (٤) . فمطلع القصيدة المتأثر بروح الإسلام لم يشفع للشاعر عند عمر حين خرج على السنن الإسلامية بغزله الحسى ، وهذا الموقف من عمر

---

(١) الأصبهانى . الأغانى . جـ ٤ : ص : ١٣٥٤ .

(٢) انظر المصدر السابق جـ ١١ . ص : ٣٧٩٠ ، ٣٧٩١ ، وابن عبد ربه العقد الفريد ، نشر . أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الإبيارى (مصر ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م) جـ ٥ : ص ٢٧٠ ، وديوان النابغة ص ٧٢ ، ٢٢٢ .

(٣) انظر المبرد . الكامل ، (مصر ١٩٥١ م) جـ ١ : ص ٣٧٢ . وانظر البيت فى ديوان سحيم ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى (مصر ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م ، ص : ١٦ .

(٤) انظر ابن قتيبة . الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٤٠٩ . وانظر قصة قتله فى ديوانه ، ص : ٥ ، ٦ .

الهجاء والتقليل من أهمية بعض قيمه الأدبية ، إنما هو تمهيد للابتعاد عن هذا الغرض الشعرى ، والانصراف عنه لما فيه من التعرض لأعراض الناس وانتقاصها ، يؤيد ذلك موقف عمر من هجاء النجاشى لبنى العجلان فقد روى أن بنى العجلان « كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الأضياف ، إلى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه ، وسبُّوا به ، واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا : ياأمير المؤمنين هجانا فقال : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ، ولعلَّه لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :

قبيّلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبَّة خردل

فقال عمر رضى الله عنه : ليتنى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب كذلك أو كلاما يشبه هذا ، قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلَّا عشيّة
إذا صدر الورَّاد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك ، يعنى الزحام ، قالوا : فإنه قال : —

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا : فإنه قال : —

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
حمر الحواصل لا ماء ولا شجر (١)

وروى أن عمر رقَّ لشعر الحطيئة وبكى ؛ ثم عفا عنه بعد أن وعده الحطيئة ألا يعود إلى إيذاء الناس بهجائه (٢) . وعندما سمع عمر رثاء متمم بن نويرة فى أخيه مالك « قال له عمر : يامتمم لو كنت أقول الشعر لسرَّنى أن أقول فى زيد بن الخطاب مثل ما قلت فى أخيك » (٣) . فعمر تؤثر فيه الكلمة الصادقة ، والمشاعر الإنسانية النبيلة ، والصورة الموحية المعبّرة عن ما يحسه الإنسان فى داخله ؛ فهو بشر يهتز وجدانه ، ويود لو أنه نفَّس عن خلجات نفسه وصدق إحساسه بشىء من الشعر كما فعل متمم بن نويرة .

إن هذا الطرح المتميز للاتجاه الأخلاقى فى النقد والذى توسع فى بلورة مفهومه ورسم معالمه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد استطاع أن يحقق شيئا من التوازن الملموس من الوجهتين النظرية والعملية . فقد حاول هذا الاتجاه أن يجعل للشعر الإسلامى طابعا متميزا ومستقلا عن طابع الشعر الجاهلى ، كما حاول أن يطور مفهومه ودوره فى النقد وفق منهج الفكر الإسلامى الصحيح .

* * *

(٥)

لم يستثمر الشعر العربى السنن الإسلامية بعد الخلافة الراشدة كما ينبغى حيث انحرف الشعراء منذ العصر الأموى بفنهم إلى التعبير عن مستجدات العصر المذهبية والحزبية والاجتماعية والسياسية ، وهذا بدوره أثر على خط سير الشعر العربى فى وجهته الإسلامية التى ميَّزته فى عصر صدر الإسلام ، كما كان

---

(١) انظر ديوانه . ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) انظر الأصبهانى . الأغانى . جـ ٢ : ص : ٦٠٤ – ٦٠٧ .

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص : ٣٣٨ .

الشعورية وإنما أكد على تحقق الاستجابة للفكرة المضادة للأخلاق ، وتأكيده قائم على تصوره لوظيفة الشعر التخييلية وما تحدثه من انفعالات نفسية حتى وإن كان قد اعتمد مبدأ الصدق الواقعي في نقده . كما أن وصيته للشاعر نابعة من إدراكه لأهمية الشعر ودوره في التأثير على سلوك الناس . ولعل معاوية قد تأثر نفسيا بهجاء عقيبة الأسدى له (١) ... وبتشبيب عبد الرحمن بن حسان بابنته رملة (٢) ، فأثر ذلك على موقفه من غرضى الهجاء والغزل ، ولهذا اقتصر في نظرته النقدية على المعيار الأخلاقي ولم يلتفت إلى صدق الإحساس في التجربة ولا إلى القيم الأدبية للشعر . وقد تكرر ما يشبه الموقف الذى وقفه عمر ابن الخطاب من هجاء النجاشي لبنى العجلان وذلك حين استعدى أبو بردة ابن أبي موسى الأشعرى معاوية على عقيبة الأسدى الذى هجا أبا بردة : وقد حاول معاوية أن يترسم خطى عمر في توجيه ذلك الهجاء وجهة أخلاقية حيث أخذ يفسر الشعر تفسيرا بعيدا عن مقصد الشاعر ومراده ، كما كان يفعل عمر في تفسير هجاء النجاشي لبنى العجلان (٣) .

أما عبد الملك بن مروان فقد كان أكثر خلفاء بنى أمية اهتماما بالشعر في مجالسه ، ورسالته (٤) إلى الحجاج بن يوسف عندما جفا هذا الشعراء كشفت عن وظيفة الشعر التربوية في نظر عبد الملك . ولعله كان يرمى من وراء تلك الوظيفة التربوية للشعر إلى التأثير على موقف الحجاج ، وقبوله مبدأ التسامح أمام الشعراء لإرضائهم خشية من مواقع سهامهم ، وأملا في التغنى بمآثر الدولة الأموية . ومن صور النقد الأخلاقي عنده أن قول كثير :

---

(١) انظر ابن عبد ربه . العقد الفريد . جـ ٥ : ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٢) انظر المصدر السابق . الجزء نفسه . ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٣) انظر المصدر السابق : ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٤) انظر . المظفر بن الفضل العلوى . نضرة الإغريض في نصرة القريض ص : ٣٥٨ .

خطر على سلوك الفتيان والفتيات (١) . ولكنه فى المقابل قد قرَّب الأخطل النصرانى وجعله شاعره المفضل ، وهذا لا يلغى دور عبد الملك فى توجيه الشعر وجهة تربوية ، وإنما يبرز جانبا جديدا فى موقف عبد الملك النقدى وهو الجانب الفنى المرتبط عنده بقضايا سياسية كثيرا ما دافع عنها الأخطل . وهذا الجانب لم يكن بمعزل عن نقد عبد الملك الأخلاقى وإنما كان يرتبط به بشكل غير مباشر بين الحين والآخر ، فالأشعار التى تدور فى مجالس عبد الملك تقوم على الاختيار والانتقاء ، والاختيار لا يكون إلا للجيد من الشعر ، والفكرة الجيدة لا يتحقق وجودها فى النفس إلا بصورة موحية تنهض بها . فالراعى عندما أنشده قصيدته اللامية فبلغ قوله :

أخليفة الرحمن إنا معشر
حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله فى أموالنا
حق الزكاة منزلا تنزيلا

علق عبد الملك على هذين البيتين بقوله : « ليس هذا شعرا ، هذا شرح إسلام وقراءة آية » (٢) فالعيب لم يكن فى الفكرة الدينية وإنما كان فى الصورة التى قصرت عن النهوض بمستوى الفكرة ، ومما يؤيد اهتمام عبد الملك بالصورة التعبيرية المؤثرة ما يلمسه المتتبع فى الأشعار التى استحسنها ، واستجادها من مسحة فنية عالية ، فقد طلب عبد الملك من بعض جلسائه أن يختار له من جيد الشعر فى الحكم والمدح والجود وحسن الوصف ، مبديا استحسانه بنزعتها التربوية وإعجابه ببراعة الشعراء فى تصويرها (٣) . على أن له

---

(١) انظر . المرزبانى . الموشح . ص ٣١٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٩ .

(٣) انظر . الحصرى . زهر الآداب . تحقيق على محمد البجاوى (مصر ١٣٨٩ هـ — ١٦٩٠ م) جـ ٢ : ص ٧٦٦ — ٧٦٧ .

أخرى اهتمت برعاية الاتجاه الأخلاقى فى الشعر غير بيئة الخلفاء وهى بيئة العلماء والمفسرين ، واهتمام هذه البيئة بالأخلاق أمر طبعى ، إذ كانت مهمة هؤلاء العلماء رعاية الأخلاق فى مجالات الحياة المتعددة ، وقد جاءت وقفاتهم الأخلاقية فى نقد الشعر سريعة وفى مواقف محدودة جدا . فعبد الله بن عباس كان يسمع الأشعار ويتمثل بها ، ويحث على تعلمها خاصة الشعر الجاهلى الذى قد عفي عنه (١) وقد سئل (هل الشعر من رفث القول ؟ ... وقال : إنما الرفث عند النساء) (٢) ! وكان يوجه الشعراء إلى القول فى الخير ويحذرهم من خطر الهجاء وما يسببه من ظلم للناس (٣) . وروى عنه قوله : « إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب » . وكان إذا سئل عن شىء من القرآن أنشد فيه شعرا » (٤) . وكان سعيد بن المسيب يتذوق الشعر الذى يراعى الأخلاق ويدعو إلى التقى (٥) وقد عاب قول عمر بن أبى ربيعة : —

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه
وروّح رعيان ونوّم سمّر

« فقال : ماله قاتله الله : لقد صغَّر ما عظَّم الله ،يقول الله عز وجل :﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (٦) ولعل موقف الفقهاء والمفسرين من الشعر كان أقرب إلى تأصيل العلاقة بين الشعر والأخلاق ، فقد

---

(١) انظر . المظفر بن الفضل العلوى . نضرة الإغريض فى نصرة القريض ص ٣٥٦ .

(٢) ابن رشيق . العمدة ، جـ ١ : ص ٣٠ .

(٣) انظر . الأصبهانى . الأغانى . جـ ٢ : ص ٦١٠ ، ٦١١ .

(٤) ابن رشيق ، العمدة . جـ ١ : ص ٣٠ .

(٥) انظر السبكى طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق عبد الفتاح الحلو ود . محمود الطناحى (مصر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م) جـ ١ ، ص : ٢٦٧ .

(٦) سورة يس ، آية : ٣٩٠ ، وانظر الخبر فى الأصبهانى والأغانى جـ ١ ، ص ٨٤ .

وقد توسع القرطبى فى بيان موقفه من الشعر ؛ فرأى أن هناك أشعارا يجوز إنشادها والتمثل بها ، وحث على حفظ الأشعار التى تدعو إلى المعانى المستحسنة ، وتتضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه ، ثم أشار إلى الأشعار المذمومة التى تزين الباطل ، وتبهت البرىء رغبة فى تسلية النفس وتحسين القول (١) .

ورأى ابن تيمية أن تأثير الشعر يأتى من طريق تحريك النفس وإزعاجها والتأثير عليها لا من طريق التصديق والعلم والمعرفة (٢) . وهذه نظرة متطورة لوظيفة الشعر النفسية عند الفقهاء ، غير أن هذه الوظيفة النفسية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون بمعزل عن العلم والمعرفة . وقد أشار ابن تيمية إلى أن مصادر الشعر تكون من الشيطان أو من النفس أو من روح القدس لأنه شعر الحق والصدق (٣) .

وقد ترددت بعض المزاعم التى حاولت أن تزهد الناس فى قول الشعر واستماعه ، وروايته وحفظه ، والاشتغال بعلمه ، وقام عدد من العلماء والمهتمين بدراسة الشعر بتفنيد تلك المزاعم والرد عليها (٤) .

ويبدو أن ملامح الاتجاه الأخلاقى فى النقد بدأت تتشكل بصورة واضحة من خلال بعض الكتب التى تناولت نظم القرآن ومجازه ومعانيه ، من أمثال كتاب معانى القرآن للفراء ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى وكذلك الكتب التى تناولت إعجاز القرآن ؛ من أمثال كتاب إعجاز القرآن للرمانى

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (مصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) جـ : ١٣ ص ١٤٥ - ١٤٩ .

(٢) انظر الفتاوى . جـ ٢ : ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ، الجزء نفسه ص : ٥١ .

(٤) انظر . ابن وهب . البرهان فى وجوه البيان . ص ١٣٠ - ١٣٧ ، وعبد القاهر الجرجانى . دلائل الإعجاز . ص ٦٠ - ٧٤ والمظفر بن الفضل العلوى . نضرة الإغريض فى نصرة القريض . ص ٣٥٢ - ٣٨٨ .

فكشف بذلك بعض عيوب الشعر فى صوره ومعانيه ، وعلى هذا وظف الباقلانى الاتجاه الأخلاقى فى النقد لتحقيق غاية دينية حددها سلفا .

من هذا العرض الذى أخذ يرصد حركة الاتجاه الأخلاقى فى النقد منذ نزول القرآن الكريم ظهر واضحا أثر الإسلام فى تنمية هذا الاتجاه فى النقد ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الذين دارت حولهم حركة الاتجاه الأخلاقى السابقة لا يصنفون دائما مع نقدة الشعر الذين غلب النقد على نشاطاتهم الفكرية الأخرى ، أو أسهموا فى معالجة بعض القضايا النقدية وصدروا فى أحكامهم عن رؤى نقدية تعطى الشعر قيما أدبيّة ، حيث كانت مهمة الاتجاه الأخلاقى فى نظرهم توجيه الشعراء توجيها أخلاقيا ، وتوجيه الشعر وجهة فكرية توافق منهج الفكر الإسلامى ، وربما اتخذوا الشعر فى بعض مواقفهم وسيلة لتحقيق غايات أخلاقية ، وقد كان تأثيرهم على الشعراء أوضح من تأثيرهم على النقد والنقاد . فالتزام الشعراء الإسلاميين بالمقاييس الأخلاقية فى أشعارهم أمر ملموس وواضح منذ عصر صدر الإسلام ، حتى عدّ التمرد على الأخلاق عيبا يحاسب عليه الشاعر ، ولا تكاد تجد كتابا من كتب الأدب والنقد فى التراث الأدبى العربى إلا وقد أشار إلى المعايب الأخلاقية التى أخذها العلماء على الشعراء ، وقد أشار المرزبانى فى الموشح إلى أنه قد استقصى عيوب الشعراء فى أخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم ودياناتهم فى كتابه : « المفيد » (١) ولذلك تجد كثيرا من الشعراء قد اهتموا بالفكرة الأخلاقية فى أشعارهم ، وأخذوا يربأون بأنفسهم عن الكذب والفحش فى الهجاء ، ويتعففون عن الدنايا ، ويتحرجون من اللهو والعبث حتى فى بعض الأغراض الشعرية التى تقوم على ذلك ، كالغزل والهجاء مثلا ، وكانت الرقابة الأخلاقية تؤدى دورها فى متابعة الشعراء الذين يجاهرون بالمعصية والفسق والزندقة ، وكشف عوارهم ، مما حدا بأولئك الشعراء إلى التستر على اتجاهاتهم الفكرية فى أشعارهم ، سواء فيما يتصل بعقائدهم أو بسلوكهم العام .

---

(١) انظر ص : ١ .

الإسلامى . فالإسلام وجه مظاهر الشجاعة والفروسية والتفانى فى الحروب وجهة دينية إسلامية حيث أصبح للفروسية مفهوم جديد يختلف عن مفهومها فى الجاهلية ، إذ لم تعد الحروب تدور من قبل العرب للاعتداء والظلم ، وبسط النفوذ ، واكتساب السمعة والتفاخر ، وإنما أصبحت تدور لإعلاء كلمة الله ، والحرص على الاستشهاد للفوز بالجنة . وقد تعمق هذا المفهوم الإسلامى للجهاد بتعمق الإيمان فى نفوس المسلمين ، فانعكس ذلك على دور الشعر الذى أخذ فى هذه المرحلة يستمد رؤيته من مفهوم التصور الإسلامى للجهاد . أضف إلى ذلك تلك النظرة الخلقية التى لازمت أشعار الحكمة ، والزهد ، والمواعظ ، والمدائح النبوية ، لعلاقة مضامين هذه الأغراض الشعرية بالأخلاق ، وقواعد السلوك الإنسانى . كما أسهم أصحاب الاختيارات الشعرية فى تنمية الاتجاه الأخلاقى فى النقد عندما اختاروا الأنماط الشعرية المثالية التى تقوِّم السلوك الإنسانى السوى ، فالمادة الشعرية فى اختيارات المفضل الضبى ، وفى اختيارات الأصمعى ، وأبى تمام ، والبحترى ، وابن الشجرى ، وما شابه ذلك ، قد راعت الجانب التربوى ، فأصبح الاهتمام بالفكرة الخلقية على درجة كبيرة من الأهمية . ومن هنا يتضح أثر الإسلام فى نماء الاتجاه الأخلاقى فى الشعر . فهل امتد هذا الأثر الإيجابى إلى النقد العربى القديم ؟

(٦)

بعض الدارسين المحدثين من العرب لم يجد فى النقد العربى القديم « ما يشير إلى اعتناق النقاد لذلك المذهب التعليمى الذى يربط الشعر بغايات أخلاقية محددة ، ولكنه يجد فيه ما يشير إلى عكس ذلك » (١) .

غير أن الإشارات السابقة التى تناولت توجيه القرآن الكريم للشعر

---

(١) د . محمود الربيعى . فى نقد الشعر . ص ٥٥ وانظر د . عز الدين إسماعيل . الأسس الجمالية فى النقد العربى (مصر ١٩٦٨ م) ص ١٨٠ – ١٨٧ .

ﷺ : « إذا ذكرت النجوم فأمسكوا .... » وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء ، وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيئا من القرآن) (١) .

وقد توثقت الصلة بين الشعر والأخلاق عند الأصمعى فى مواقف أخرى . فقد استحسن شعرا للحطيئة وعلق عليه بقوله : « أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع » (٢) ، وكان يقول عن السيد الحميرى : « قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ، لولا مذهبه ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته » (٣) . وكان يقول : « لم أجد فى شعر شاعر بيتا أوله مثل وآخره مثل إلا ثلاثة أبيات منها بيت للحطيئة ... وبيتان لامرئ القيس (٤) » . يضاف إلى ذلك أن الأصمعى كان من أصحاب الاختيارات الشعرية التى قامت على أساس تربوى ، وأنه كان يمارس مهمة تأديب الناشئة وتربيتهم . وكان ابن سلام من النقاد الذين وظفوا المعيار الأخلاقى فى نقدهم ، فمع أنه اهتم بالصورة الشعرية وأن الشعر صناعة كسائر أصناف الصناعات ، فإنه قد أشار إلى أهمية الالتزام بالأخلاق ، وبين أثر ذلك فى قبول الشعر ومكانة الشاعر ، فقد رأى أن من الشعراء من كان « يتأله فى جاهليته ، ويتعفف فى شعره ولا يستبهر بالفواحش ، ولا يتهكم بالهجاء ... ومنهم من كان

---

(١) الكامل . جـ ٢ : ص ٣٨ .

(٢) الأصبهانى . الأغانى . جـ ٢ : ص ٥٨٨ .

(٣) المصدر السابق جـ ٧ ، ص : ٢٦٧٢ .

(٤) ابن عبد ربه . العقد الفريد . جـ ٣ : ص : ١٣٦ ، وبيت الحطيئة هو قوله :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وبيتا امرئ القيس هما قوله :

وأفلتهنّ علباء جريضا
ولو أدركته صفر الوطاب
وقاهم جدهم ببنى أبيهم
وبالأشقين ما كان العقاب

ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن منه ما أصاب الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصف قوى ، واختصار قريب » (١) . وكان يختار أشعار المحدثين إذا تضمنت حكما مستحسنة يحتاج إليها للتمثل (٢) . وفى كتاب التعازى والمراثى : اختار من المراثى ما تجلت فيه روح المواعظ والتعزى ، والحض على الصبر يشترك فى ذلك الشعر والنثر . فأحسن الشعر ما خلط مدحا بتفجع ، واشتكاء بفضيلة (٣) وقد أشار المبرد إلى بعض ما يرد ويطرح من شعر أبى نواس ، مما يألفه المجّان ، ومما جمع فيه أبو نواس بين الكفر واللحن . وأنكر على أبى نواس جرأته ومجاهرته بالعصيان (٤) .

وكان ابن قتيبة يرى أن للشعر غاية خلقية ، وقد حرص على إبراز هذه الغاية فى كتابه عيون الأخبار ؛ عندما تحدث عن طبيعة المادة العلمية والأدبية التى جمعها فى هذا الكتاب فقال : « جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها ، وتقومها بثقافها ، وتخلصها من مساوئ الأخلاق ، كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة ، وسيرة قوية ، وأدب كريم ، وخلق عظيم » (٥) . وقد أفرد فصلا فى كتاب العلم والبيان من عيون الأخبار تحت عنوان « الأبيات التى لا مثل لها » (٦) تضمنت إكرام النفس ، والاستعفاف ، والإقدام والحث على الصبر وحسن الجوار ، والابتعاد عن الإلحاح فى المسألة ، والتوكل على الله ، وغير ذلك من الأسباب التى تساعد على تقويم التربية الإسلامية . أما فيما يتصل بأحكامه النقدية التى ربطها بالأخلاق ؛ فقد عاب على امرئ القيس « تصريحه

---

(١) المبرد ، الكامل : جـ ١ ، ص : ١٧٣ .

(٢) انظر المصدر السابق جـ ١ ، ص : ٢٣٣ .

(٣) انظر تحقيق محمد الديباجى (دمشق ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م) ص .

(٤) انظر المرزبانى ، الموشح ، ص : ٤١٤ - ٤١٧ .

(٥) (مصر ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م) نسخة بالأوفست (١٩٧٣ م) جـ ١ المقدمة ص : ك .

(٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ - ٢٦٠ .

بناء على « حقائق معانيها الواقعة لأصحابها الواصفين لها » (١) وكلما اشتمل الشعر على حكمة عجيبة ، أو معنى صحيح كلما ازداد حسنا (٢) . وقد تنبه إلى أهمية الصورة فى تحقيق الفكرة الأخلاقية واكتسابها ، فرأى أن النفوس والعقول تشترك فى عملية الاستجابة للشعر فدعا إلى ضرورة ملاءمة معانى الشعر الأخلاقية لمبانيه (٣) حتى تتحقق غاية الشعر الأخلاقية بتحقق جودة الصنعة ، ويشبه ابن طباطبا فى هذا قدامة بن جعفر حين اتخذ الفضائل النفسية أساسا لمعانى الشعر ، فمدح الشيء ينبغى أن يؤسس على فضائله الخاصة به « فإذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيره إلا بما يكون له وفيه ، وبما يليق به أولا ينافره » (٤) وكذلك المراثى ينبغى أن تستوعب الفضائل شأنها فى ذلك شأن المديح (٥) . وربط النسيب أيضا بالفضائل النفسية . فرأى أن الميل فى النسيب يتحقق عن طريق اكتساب « الشمائل الحلوة ، والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة ، والكلام المستعذب ، والمزاح المستغرب » (٦) وكلما تكلف الشاعر صفات خلقية مكتسبة يتزين بها عند من يحب ، كلما كان ذلك زيادة فى غاية المحبة (٧) . وإذا كانت غاية الشعر الأخلاقية قد تحققت عند ابن طباطبا بتحقق جودة الصنعة فإن قدامة بن جعفر قد عمق مفهوم الصنعة الشعرية ، حتى ليخيل إليك عندما تقرأ معالجته للصياغة الشعرية أنه يجعلها أساس القيمة الأدبية فى الشعر دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى . ولعل إحساسه

---

(١) عيار الشعر . ص : ٨٨ .

(٢) انظر المصدر السابق . ص : ٩١ .

(٣) انظر المصدر السابق . ص : ١٢٥ .

(٤) نقد الشعر . ص : ٩٥ .

(٥) انظر المصدر السابق . ص ١١٩ – ١٢٢ .

(٦) المصدر السابق . ص : ١٣٤ .

(٧) انظر المصدر السابق . ص : ١٣٧ – ١٣٨ .

« هذان البيتان يفضلان كتابا من كتب اليونان ، « لتناهيهما فى الصدق وحسن النظر ، ولو لم يكن له سواهما لكفاه ذلك شرفا » (١) ، فتفضيل بيتى أبى الطيب على كتاب من كتب اليونان يوثق العلاقة القائمة بين الشعر والأخلاق ، حيث ارتبطت تآليف اليونان بمشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية . وتحقق الأخلاق فى الشعر إنما هو تحقق للجانب المعرفى فيه ، والشعر لا قيمة له إذا لم يحقق شيئا من القيم المعرفية ولهذا أكد بعض النقاد العرب على الجانب المعرفى فى الشعر من أمثال ابن سلام (٢) الذى نقل رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أن الشعر ديوان العرب ومنتهى علمهم ، وكما فعل ابن قتيبة (٣) ، وابن طباطبا (٤) ، والقاضى الجرجانى (٥) .

وقد وافقهم فى ذلك عبد القاهر الجرجانى الذى أكد أن المعرفة غاية أساسية من غايات الشعر العربى الذى هو : « ديوان العرب ، وعنوان الأدب » (٦) . وهذا يعنى أن الشعر نتاج عقلى معرفى ، ومن هنا مدح عبد القاهر الشعر من الجانب المعرفى الخلقى لاشتماله على « الحق والصدق والحكمة » (٧) وأنه « ثمر العقول والألباب ... الذى قيد على الناس المعانى

---

(١) الصفدى ، نصرة الثائر على المثل السائر . تحقيق . محمد على سلطانى (دمشق ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م) ص : ١٨٦ والبيتان هما قوله :–

إلف هذا الهواء أوقع فى الأنفـ
ـفس أن الحسام مر المذاق
والأسى قبل فرقة الروح عجز
والأسى لا يكون بعد الفراق

(٢) انظر . طبقات فحول الشعراء . جـ ١ : ص : ٢٤ .

(٣) انظر . الشعر والشعراء جـ ١ ، ص : ٦٣ ، ٦٤ .

(٤) انظر . عيار الشعر . ص : ١٦ ، ١٧ .

(٥) انظر . الوساطة . ص : ١٥ .

(٦) دلائل الإعجاز . ص : ٥٧ .

(٧) المصدر السابق . ص : ٦٤ .

(٧)

إذا كان النقاد العقلانيون والفلاسفة أقرب من غيرهم من النقاد فى ربط الشعر بغايات أخلاقية ولم يغفلوا أهمية الصورة حتى ولو جعلوها أحيانا فى خدمة تلك الغايات ، فإن هناك فئة من النقاد والمهتمين بالشعر قد طغت على نقدهم النزعة التربوية ، فغلب الاتجاه الأخلاقى التربوى على اتجاهاتهم النقدية فشعر أبى نواس ومن سلك سبيله من الشعراء فى نظر أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى فيه خروج على سنن الدين ، وتحسين لركوب القبائح والرذائل ، فقد كتب ابن الأنبارى إلى عبد الله بن المعتز فى مساجلة جرت بينهما : « جرى فى مجلس الأمير ذكر الحسن بن هانئ والشعر الذى قاله فى المجون ، وأنشده وهو يؤم قوما فى صلاة ، وهو : أن لكل ساقطة لاقطة ، وأن لكل كلام رواة ، وكل مقول محمول . فكان حق شعر هذا الخليع أن لا يتلقاه الناس بألسنتهم . ولايدونوه فى كتبهم ، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم ، لأن ذوى الأقدار والأسنان يجلون عن روايته ، والأحداث يغشون بحفظه ، ولا ينشد فى المساجد ، ولا يتجمل بذكره فى المشاهد ، فإن صنع فيه غناءا كان أعظم لبليته ، لأنه إنما يظهر فى غلبة سلطان الهوى ، فيهيج الدواعى الدنيئة ويقوى الخواطر الرديئة . والإنسان ضعيف يتنازعه على ضعفه سلطان القوى ونفسه الأمارة بالسوء . والنفس فى انصبابها إلى لذاتها بمنزلة كوة منحدرة من رأس رابية إلى قرار فيه نار ، وإن لم تحبس بزواجر الدين والحياء أداها انحدارها إلى ما فيه هلكتها .

والحسن بن هانئ ، ومن سلك سبيله من الشعر الذى ذكرناه شطار كشفوا للناس عوارهم ، وهتكوا عندهم أسرارهم ، وأبدوا لهم مساويهم ومخازيهم ، وحسنوا ركوب القبائح . فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم وعلى كل متصور أن يستقبح ما استحسنوه ، ويتنزه عن فعله وحكايته » (١) .

---

(١) الحصرى . جمع الجواهر فى الملح والنوادر . نشر محمد أمين الخانجى (مصر ١٣٥٣ هـ) ص : ٣٣ .

المقبولة مقدم عليها ، ولعل الغرض من شعر المديح الذى يتكسب به ومن شعر الهجاء الذى يؤذى الناس يتفق مع اتجاه الناقد الأخلاقى ، أما نظرته إلى شعر الوصف الذى يتسع مفهومه ليشمل أحيانا بعض أغراض الشعر الأخرى وإعطاؤه منزلة تلى منزلة الشعر الخيِّر ، وتضييق دائرة تأثيره فى حدود الإعجاب بما يتمتع به الشاعر من الكياسة والذكاء ، فإن ذلك كله لم يعط شعر الوصف حقه لاشتماله على ضروب من المعانى المركبة التى تتناول الخير وضده لأن الوصف « ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات » (١) .

ويستمر هذا الاتجاه الأخلاقى التربوى فى النقد عند أبى على أحمد بن محمد مسكويه الذى راح يوثق العلاقة بين الشعر والتربية داعيا إلى اطراح رغبات النفس ، وتحقيق مطالب العقل عن طريق الحث على الالتزام بأمور الدين وأحكامه ، وقواعد الأخلاق ، والتأدب بآداب الشريعة ، والانتفاع بالعلوم العقلية ، وتهيئة أذهان الناشئة لذلك ، لينصرفوا عن الاشتغال بما يفسد أخلاقهم . « ومن لم يتفق له ذلك فى مبدأ نشوئه ثم ابتلى بأن يربيه والده على رواية الشعر الفاحش ، وقبول أكاذيبه ، واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات ... ثم صار بعد ذلك إلى رؤساء يقربونه على روايتها وقول مثلها ... واشتغل بها عن السعادة التى أهل لها فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيما وخسرانا لا ربحا » (٢) ومن مقومات التربية المثالية عنده اختيار الأنماط الراقية من الشعر المشتملة على الفكرة الخيِّرة ، وتربية الناشئة عليها رواية ومذاكرة وحفظا ، وتحذيره من « النظر فى الأشعار السخيفة ، وما فيها من ذكر العشق وأهله ، وما يوهمه أصحابها أنه ضرب من الظرف ورقة الطبع ، فإن هذا الباب مفسدة للأحداث جدا » (٣) لأن الوقوع تحت تأثير الشعر الخليع

---

(١) قدامة بن جعفر . نقد الشعر . ص : ١٣٠ .

(٢) تهذيب الأخلاق . (مصر ١٣٠٥ هـ) ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) المصدر السابق . ص ٥١ ، ٥٢ .

أما التحريك ففيه معنى الإثارة والإزعاج ، وحمل النفس على ما يوافق هواها . وكأن ابن حزم لا يستحسن فن الشعر إلا ما وافق طريقة أولئك الشعراء فى معانيهم التى دافعوا بها عن الإسلام ، أو جعلوها أساسا لشعر الزهد والحكم والمواعظ . وهذا التحديد لما يستجاد من الشعر جعل ابن حزم ينهى عن سماع الشعر الإباحى ، وهذا النهى لابد أن يمتد إلى نظمه وروايته وحفظه وحتى إشاعته بين الناس لأنه « ينقض بنية المرء الرائض لنفسه حتى يحتاج إلى إصلاحها ومعاناتها برهة لاسيما ما كان يعنى بالمذكر وصفة الخمر والخلاعة » (١) ، وقد وافق مسكويه فى أن الوقوع تحت تأثير الشعر الخليع يصعب التخلص منه ، ودعا إلى تجنب أربعة أنواع من الشعر . « أحدها الأغزال والرقيق ، فإنها تحث على الصبابة وتدعو إلى الفتنة وتحض على الفتوة ، وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذات وتسهل الانهماك فى الشطارة والعشق ، وتنهى عن الحقائق حتى ربما أدى ذلك إلى الهلاك والفساد فى الدين ، وتبذير الأموال فى الوجوه الذميمة وإخلاق العرض ، وإذهاب المروءة ، وتضييع الواجبات ... والضرب الثانى الأشعار المقولة فى التصعلك وذكر الحروب ... فإن هذه أشعار تثير النفوس وتهيج الطبيعة ، وتسهل على المرء موارد التلف فى غير حق ، وربما أدته إلى هلاك نفسه فى غير حق وإلى خسارة الآخرة ، مع إثارة الفتن ، وتهوين الجنايات والأحوال الشنيعة ، والشره إلى الظلم وسفك الدماء ... والضرب الثالث : أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد والمهامة ، فإنها تسهل التحول والتغرب .. والضرب الرابع : الهجاء فإن هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه ، فإنه يهوّن على المرء الكون فى حالة أهل السفه » (٢) وكان يرى أن شعر المديح والرثاء إذا بنيا على التزيد والكذب خرجا عن دائرة الفضائل وأصبح الخوض فيهما مكروها (٣) . وقد اتضح تقنينه للشعر من المنظور الدينى

---

(١) رسائل ابن حزم – رسالة مراتب العلوم – ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق . ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ص : ٦٨ .

لسقطات الشعراء وانحرافاتهم من الوجهة الأخلاقية أثرها الذى لا ينكر فى بلورة معالم هذا الاتجاه وأسسه ، ولهذا عُدَّ شعر أبى نواس كاسدا عند أصحاب هذا الاتجاه لبعده عن الفكرة الأخلاقية التى تسوغ قبوله ، وأن شعره إنما ينفق عند السوقة والعوام من الناس (١) .

أما محمد بن هانئ الأندلسى فإنه كان « يستعين على صلاح دنياه بفساد أخراه ، لرداءة عقله ، ورقة دينه ، وضعف يقينه ، ولو عقل لم تضق عليه معانى الشعر حتى يستعين عليها بالكفر » (٢) وقد علَّل ابن شرف لاستهتار ابن هانئ هذا بالدين بقلة ورعه ، وضعف إيمانه ، وعجز عقله وجهله بموارد المعانى الجليلة ، لأن معانى الخير لا تنضب بل تتجدّد بتجدد الأزمان . كما هاجم شعر الغزل الحسى – ممثلا فى غزل امرئ القيس – هجوما قويا ، محاولا إسقاط القيم الأدبية لغزل امرئ القيس الحسى ، ومن تأثره ومصادرته من بين أغراض الشعر ، وذلك بتتبع سقطاتهم السلوكية والحكم عليهم بنبو طبعهم ، وانحطاط أذواقهم ، وفساد أخلاقهم ، وفى رأيه أن امرأ القيس فى تعهره وفحشه وكشف مغامراته المتعددة لم يكن عاشقا وإنما كان فاسقا خاصة فى محاولة إظهار حبه لعنيزة (٣) . والفسق هنا قد لا يكون بمعنى الخروج على عادات عشاق العرب الذين ينفردون فى حبهم ويكتمونه ، ولا يشركون أحدا فى ذلك كما كان يفعل المرقش الأكبر (٤) لأن امرأ القيس كان أسبقهم زمانا . ولأن المثال الذى كان يحتذيه فى غزله لم يعرف عنه شيئا إلا من واقع حياة العرب الجاهليين التى كانت تسمح بالاختلاط من غير تحفظ بين الجنسين . أما إذا كان الفسق بمعناه الدينى الذى ورد عند ابن حزم

---

(١) انظر مسائل الانتقاد ، ص : ٩٠ .

(٢) المصدر السابق . ص : ١٠٦ .

(٣) انظر المصدر السابق . ص : ١١٥ .

(٤) انظر المصدر السابق . ص : ١٢٢ .

حديثا مستقلا ذكر فيه منهجه فى اختيار الشعر وحدده فى أشعار الحكمة والأبيات المثلية (١) . لقد انتقص ابن شرف الشعر الذى لا يحمل فكرة أخلاقية ممثلا فى شعر الغزل الحسى ، ومن خلال إشارته إلى بعض معايب الشعراء الخلقية والسلوكية ، وأثرها فى توجيه الشعر وجهة غير أخلاقية ، وقد أهمل شعر الهجاء ولم يتناوله من المنظور الأخلاقى مع أنه كان محل اهتمام سابقيه من النقاد ، كما سيكون محل اهتمام النقاد الأخلاقيين الذين جاءوا بعد ابن شرف وحملوا على شعر الهجاء وعلى غيره من أغراض الشعر الأخرى .

فقد كان أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى النحوى يردد أقوال العلماء بأن الشعر « أدنى مراتب الأدب لأنه باطل يجلى فى معرض حق ، وكذب يصور بصورة صدق . وهذا الذم إنما يتعلق بمن ظنَّ صناعة الشعر غاية الفضل ، وأفضل حلى أهل النبل ، فأما من كان الشعر بعض حلاه وكانت له فضائل سواه ، ولم يتخذه مكسبا وصناعة ، ولم يرضه لنفسه حرفة وبضاعة فإنه زائد فى جلالة قدره ، ونباهة ذكره » (٢) ، ويبدو أن هذا الموقف الغائى من الشعر جاء نتيجة دعوة للتوازن فى مجالات المعرفة ومن خلال المفاضلة بين فنى الشعر والنثر ، علما بأن صاحب كتاب أدب الكاتب لم يحمل على الشعر هذه الحملة التى أخذ يرددها البطليوسى شارح الكتاب ، فقد كان رأى ابن قتيبة أن الأدباء قد انصرفوا فى عصره إلى المصطلحات الفلسفية ، وعلوم المنطق ، فابتعدوا عن علم الكتاب وأخبار الرسول ﷺ وعلوم العرب وآدابها (٣) . وربما تأثر البطليوسى ابن حزم فى موقفه من تقييد الاستكثار من الشعر بتغلب نصيب الإنسان فى الدين على نصيبه فى الشعر والدعوة إلى القصد والاعتدال فى ذلك .

---

(١) انظر . مسائل الانتقاد . ١٥٦ – ١٧٥ .

(٢) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب (بيروت ١٩٧٣ م) ص : ١٥ .

(٣) انظر . أدب الكاتب . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (مصر ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م) المقدمة . ص ١ – ٣ .

الروح عند ابن بسام فى ربطه الشعر بقضايا الأندلسيين ومشكلاتهم التى تمس جوانب متعدده من حياتهم . أما موقفه الأخلاقى فى النقد فتلمسه فى مواقف متعددة . فقد ذكر أنه اهتم بسلوك الأديب فى ذاته ، فقدّم الشعر واختاره لنباهة ذكر قائله وإحسانه لا لجودة الشعر (١) . وهذا الموقف إنما كان لحساب الفكرة الأخلاقية . التى دفعته إلى إقامة علاقة وثيقة بين سلوك الأديب وفنه من حيث القيمة الأدبية للفن التى تتأثر عنده بسلوك الفنان إيجابا وسلبا . فالفقيه أبو عمر أحمد بن عيسى الألبيرى ذهب ، بفصوص الأدب وعيونه (٢) لأنه كان من أفراد الزهاد ، وأن ما أثر له من مقطوعات وأبيات لم تخرج عن الزهد والمواعظ . أما الوزير الكاتب أبو الحسين يوسف بن محمد بن الجد فقد خمل ذكره مع جودة أدبه لمعاقرته العقار ، وتمسكه بأسبابه من قضاء الأوتار (٣) . وقد دافع ابن بسام عن العقيدة الإسلامية وغض من مكانة الشعراء المستهترين بأمور الدين . من ذلك مكابرة أبى أحمد عبد العزيز بن خيرة المشهور بالمنفتل عندما أخذ قصة موسى عليه السلام إذ تولّى إلى الظل فحرَّف حقيقة القصة كما جاءت فى القرآن الكريم حتى عده ابن بسام مكابرا وضالا لاجترائه على الخلق والخالق (٤) وقد مدح المنفتل ابن النغريلى اليهودى بقصيدة رائية غلا فيها كثيرا ، ولم يثبت ابن بسام بعض الأبيات التى غلا فيها الشاعر ، وقد علّق عليها ابن بسام بقوله : « وهذا القصيد اندرج له من الغلو فيه ، مالا أثبته ولا أرويه ، وأبعد الله المنفتل ، فيما نظم فيه وفصل ... وله فى هذه القصيدة من الغلو فى القول ، ما نبرأ منه إلى ذى القوة والحول ... فقبح الله هذا مكسبا ، وأبعد من مذهبه مذهبا ، تعلّق به سببا ، فما أدرى من أى شئون هذا المدل بذنبه ، المجترئ على ربه أعجب : ألتفضيل هذا اليهودى المأفون على

---

(١) انظر الذخيرة ، ق ١ م ١ ، ص : ٣٢ .

(٢) انظر المصدر السابق (بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ق ١ م ٢ ، ص ٨٤٧ ، ٨٤٨ .

(٣) انظر المصدر السابق . ق ٢ م ٢ : ص ٥٥٦ .

(٤) انظر المصدر السابق : ق ١ م ١ : ص ٧٨ .

ويشترك شعراء الهجاء ، ورواته ، ومن اهتم بنشره وإذاعته بين الناس فى وزر السفه والشتم ، ولهذا صان كتابه (الذخيرة) من الخوض فى شعر الهجاء الذى يورث السباب والقذف والإفحاش ليربأ بكتابه عن الشين ، وبنفسه أن يكون من الهاجين (١) . وقد ذكر أن الفقهاء أرخصوا القول فى المعاريض (٢) لملاحتها ، مشيرا إلى كلام عمران بن حصين : « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » (٣) وذلك لما فى التعريض من إلغاز الكلام عن الظاهر ، ومع أن احتمال تحقق الإيذاء فى هذا النوع من الشعر أمر وارد سواء كان تعريضا أو تصريحا إلا أن ابن بسام يعده من باب الشعر « الذى لا أدب فيه على قائليه ولا وصمة أعظم على من قيل فيه » (٤) وقد أفسح لهذا الشعر مكانا فى كتاب الذخيرة واختار منه نماذج فى بعض مواقفه واستشهاداته ، لأنه لم يبلغ حد السباب والقذف « وإنما هو توبيخ وتعيير ، وتقديم وتأخير ، كقول النجاشى فى بنى العجلان » (٥) . أما الهجاء المذموم فى نظره فهو « السباب الذى أحدثه جرير وطبقته ، وكان يقول : إذا هجوتم فاضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ، ولا عُيِّرت به قبيلة ، وهو الذى صُنَّا هذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شىء منه » (٦) لأن فيه تصريحا بمثالب الناس ، فى أحسابهم وأنسابهم ، ورميا فى أعراضهم ، مما يثير العداوة والبغضاء بين الناس وينمى فى النفوس الأحقاد ، والضغائن . ويبدو أن هذا النوع من الشعر قد

---

(١) انظر الذخيرة ق ٢ م ١ : ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٢) انظر المصدر السابق ق ١ م ١ ، ص : ٤٦٦ .

(٣) الميدانى . مجمع الأمثال . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (بيروت بدون تاريخ) ص : ١٣ .

(٤) الذخيرة . ق ١ م ١ : ص : ٥٤٤ .

(٥) المصدر السابق : القسم نفسه والجزء نفسه : ص ٥٤٤ .

(٦) المصدر السابق : القسم نفسه والجزء نفسه : ص ٥٤٦ .

وصعوبة طريقه – يحمل الشاعر على الغلوِّ فى الدين ، حتى يؤول إلى فساد اليقين . ويحمله على الكذب ، والكذب ليس من شيم المؤمنين » (١) . وهذا الانتقاص لوظيفة الشعر الإنسانية عند الكلاعى امتد إلى الانتقاص من مكانة الشاعر عندما نقل كلام بعض البلغاء بأن الشاعر يطلب على الكذب مثوبة ويتسرع لإيذاء الناس عند أدنى زلة (٢) . وقد عدَّ الوزن عيبا من عيوب الشعر « لأن الوزن داع للترنم ، والترنم من باب الغناء » (٣) ثم أشار إلى أنه لا ينكر « فضائل الشعر ولا قول الرسول عليه السلام ، والصحابة رضى الله عنهم فيه ، ولكن القوم غير هؤلاء القوم ، واليوم غير هذا اليوم » (٤) . فإذا كان الكلاعى لا ينكر فضائل الشعر فلماذا إذًا هذه الهجمة العنيفة على الشعر . لعل للموازنة بين الشعر والنثر والترجيح بينهما دورا فى الحملة على الشعر ، والانتقاص من قيمته ، خاصة عند الكتاب الذين يتعصبون لما يوافق طبائعهم ، كالبطليوسى والكلاعى وغيرهما . غير أن التبريرات التى ذكرها الكلاعى لرفض الشعر ومصادرته لا تسقط قيمة الشعر الإنسانية . ولعل محاولة الكلاعى فى إسقاط قيمة الوزن من الشعر كان القصد منها التقليل من شأن أهم عنصر من العناصر التى تميز الشعر عن النثر مما يؤكد تعصبه للنثر مع أن الشعر والنثر كلام . فحسنهما حسن وقبيحهما قبيح . وهكذا تتشكل وجهة النظر الدينية والتربوية عند من نظروا إلى الشعر نظرة إصلاحية ، حيث أصبح الشعر يقبل أو يرفض من خلال المنظور الدينى التربوى ، كما أصبحت الوسطية فى اكتساب المعارف أمرا له أهميته فى اعتدال الطبائع وتمثلها للفضيلة . ولهذا رأى هؤلاء التربويون أن الغايات الأخلاقية تتحقق فى أغراض الشعر الخيرية ، وأن ممارسة الشعر فى حدود الخير إبداعا ورواية وحفظا يزيد فى جلالة

---

(١) إحكام صنعة الكلام . ص : ٤٤ .

(٢) انظر المصدر السابق . ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) المصدر السابق . ص : ٤٦ .

(٤) المصدر السابق . ص : ٤٧ .

جوانب الحياة ، ومنها فلسفة الزهد والقناعة ، على شريطة أن تأخذ مكانها ولا تجوز على أمكنة غيرها من فلسفات الحياة » (١) على أن تأخر شعراء الحكمة ليس إنكارا للحكمة فى ذاتها ، وإنما للإكثار منها فى الشعر . « وقالوا : لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى كان مفرّقاً فى أشعار كثيرة ، لصارت الأشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر » (٢) وكذلك قال ابن رشيق : « فلا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة ، كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه ، وهو يقدمهم فى الصناعة لإكثاره من ذلك » (٣) وهذا هو الذى جعل ابن خلدون يرى أن الإجادة فى الربانيات والنبويات لا تتحقق فى الغالب إلا عند الفحول من الشعراء ، لأن أفكارها تكاد تكون جاهزة ومتداولة بين الناس (٤) . فالقيمة الفنية لشعر الحكمة « ضئيلة للغاية لأن مثل هذا الشعر يجنح إلى ناحية عقلية محضة من الشعور العاطفى والوجدانى .... وغاية ما يقال فى هذا النوع من الشعر أنه ضرب من النظم الذهنى ، فيه ناحية تعليمية عظيمة القيمة ، ولكنه ليس بالشعر الذى يكون الشعور مداه ، والعاطفة أساسا فيه » (٥) . وقد رأى الشيخ محمد قطب « أن الفن الإسلامى ليس هو الفن الذى يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة فى صورة فلسفية ، ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات ، وإنما هو شيء أشمل من ذلك وأوسع ... إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود ، من زاوية التصور الإسلامى لهذا الوجود » (٦) .

---

(١) العقاد . بين الكتب والناس . (مصر ١٩٥٢ م) ص : ٧٢ .

(٢) الجاحظ . البيان والتبيين . جـ ١ : ص ٢٢٩ .

(٣) العمدة . جـ ١ : ص ٢٨٥ .

(٤) انظر . المقدمة ص : ٥٧٥ .

(٥) د . محمد مصطفى هدارة . اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى . مصر ١٩٦٣ م ، ص : ٤٥٣ .

(٦) منهج الفن الإسلامى . (بيروت بدون تاريخ) ص : ١٧٧ .

فى الشعر ، كما أن نقاد الاتجاه الأخلاقى لم يقفوا عند حدود الالتزام فى نقدهم النظرى ، فقد خرج بعضهم عن موقفه النظرى الأخلاقى إلى مواقف أدبية ، حيث لم يتحرروا من استجاباتهم الخاصة لبعض الأشعار ، فعلى سبيل المثال لم ير ابن قتيبة فحش المعنى معيبا فى بعض شعر امرئ القيس (١) ، وقد وافقه فى ذلك قدامة بن جعفر الذى رأى « أن المعانى كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها فى ما أحب وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعانى للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة ... وعلى الشاعر إذا شرع فى أى معنى كان من الرفعة والضعة ، والرفث والنزاهة ، والبذخ والقناعة والمدح ، وغير ذلك من المعانى الحميدة أو الذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد فى ذلك إلى الغاية المطلوبة » (٢) فقدامة هنا يعطى الأهمية للصورة بصرف النظر عن صدق التجربة أو فكرتها الأخلاقية . أما ابن حزم الذى نهى عن الاستجابة لشعر الغزل ، فإنه قد مارس هذا اللون من الشعر إبداعا فى طوق الحمامة وقد أورد ابن بسام فى كتاب الذخيرة نماذج من شعر الهجاء الذى عده فيما سبق غرضا من أغراض السفه والشتم . غير أن ذلك كله لا يقلل من قيمة اتجاههم الأخلاقى من وجهتيه النظرية والعملية ، والذى ألحَّ كثيرا على إبراز مفهوم التربية الإسلامية .

* * *

(٨)

لم يكن الاتجاه الأخلاقى فى النقد إلا منهجا من مناهج النقد العربى التى عرفتها الساحة النقدية . إذ مازال الاتجاه الفنى المغرق فى القدم – الذى بدأت نشأته مع بداية الشعر العربى – يتنامى ويسير جنبا إلى جنب مع

---

(١) انظر . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١٣٥ .

(٢) نقد الشعر . ص ٦٥ ، ٦٦ .

ومن المعروف أن كل تطور حضارى مرهون بظهور نتوءات تشذ عن القاعدة الحضارية فى جانبيها الروحى والمادى . ولقد أفرزت الحضارة الإسلامية على هوامشها أنماطا من انحرافات الفعل المتمرد على إيجابياتها ، وكان للشعر العربى نصيبه من هذه الانحرافات بدءا بأصحاب الغزل الحسى والصعاليك والهجائين ، والمجان ، والمتمردين على العقيدة وعلى قواعد السلوك السوى ، حتى جاهر كثير من الشعراء بوصف نوازعهم الشاذة مما حدا بنقاد الاتجاه الأخلاقى فى النقد أن يقفوا من تلك الممارسات الشاذة موقف الرفض ، مع محاولة توجيه وإصلاح ذلك الفعل المنحرف وجهة تتفق مع وجهة النظر الدينية والتربوية ؛ كما اتضح ذلك فى ثنايا هذه الدراسة .

أما أصحاب الاتجاه الفنى فى النقد الذين اعتمدوا حسن الصياغة فى أحكامهم الأدبية إلى جانب الصدق الفنى أحيانا فقد نشأ عندهم شيء من التسامح أمام الضوابط الأخلاقية وهو تسامح لا يهدفون من ورائه دعوة إلى التمرد والتحرر من تلك الضوابط ، وإنما لإدراكهم أن للشعر طبيعة مستقلة تتصل بشكله الذى يمتع ، وأن الصدق الفنى يتيح للشاعر أن يسبح فى عوالمه الواسعة الفسيحة إذا صدق فى تجاربه ، ووصف مشاعره وصفا صادقا . أضف إلى ذلك إدراك هؤلاء النقاد بأن الإعجاب بالشعر أمر مستقل عن معتقد قائله . وقد بدأ الأمر وكأن النقاد الأخلاقيين والفنيين يقفون على طرفى نقيض ، وبرزت قضية عزل الدين عن الشعر فى وقت مبكر ، وفى مرحلة متقدمة من مراحل النقد العربى . فقد أرجع الأخطل الإعجاب بالشعر إلى تحقق الاستجابة دون النظر إلى معتقد قائله وذلك فى قوله : « اعلم أن العالم بالشعر لا يبالى ... إذا مرَّ به البيت المعاير السائر الجيد أمسلم قاله أم نصرانى » (١) .

ولعل ابن أبى عتيق كان يمثل بداية المرحلة فى قضية عزل الدين عن الشعر ، فقد استحسن شعر عمر بن أبى ربيعة ، وقدمه على شعر الحارث بن

---

(١) الأصبهانى — الأغانى . جـ ٨ ، ص : ٣٠٣٥ .

وقد روى عن الأصمعى قوله : « طريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره فى باب الخير – من مراثى النبى ﷺ وحمزة ، وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم – لان شعره ، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة ، من صفات الديار والرحل ، والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة الحمر والخيل ، والحروب والافتخار فإذا أدخلته فى باب الخير لان » (١) ويوحى هذا النص بأن الأصمعى يحكم على الشعر بالجودة أو اللين من خلال الموضوع ، فالشعر يجود عنده فى موضوعات الشر ويلين فى موضوعات الخير ، مع أن الفكرة ليست وحدها مناط الجودة أو الرداءة فى العمل الإبداعى ، إذ الشعر يقوى ويضعف فى موضوعات الخير والشَّرِّ معا . فهل أحسَّ الأصمعى بضعف الشعر الذى تناول فلسفة العقيدة والزهد ، والمواعظ ، وموضوعات الخير الأخرى ؟ رأى بعض الدارسين الذين تناولوا نص الأصمعى السابق بالدراسة أن الأصمعى يقيم حدا فاصلا بين الشعر والدين (٢) . وربَّما لا يستقيم هذا الفهم لأمور عدة منها : مكانة الأصمعى الدينية ودوره الذى لا ينكر فى توثيق العلاقة بين الشعر والأخلاق . وإذا كانت الحروب من الدوافع التى يجود فيها الشعر فلابد أن يتحقق الشعر بتحقق كثرة الحروب كما يرى ابن سلام ، ولابد أن يستتبع هذه الكثرة صفة الجودة التى أشار إليها الأصمعى . لكن الجاحظ قد رد على رأى ابن سلام بأن الشعر لا يكثر بالحروب . « وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم

---

(١) المرزبانى . الموشح . ص : ٨٥ .

(٢) انظر . د . إحسان عباس . تاريخ النقد الأدبى عند العرب (بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م) ص ٣٧ ، ٥٠ ، ٥١ ويشم من كلام الدكتور إحسان عباس عدم اطمئنانه إلى موقف الأصمعى من عزل الدين عن الشعر خاصة فيما يخص مصطلح اللين الذى جعله فى مقابل مصطلح الخير ، وانظر كذلك . عز الدين إسماعيل . الأسس الجمالية فى النقد العربى ص ١٧٩ – ١٨١ ، وانظر د . محمد أحمد العزب . طبيعة الشعر (مصر ١٩٨٠ م) ص : ٦٠ .

وربطه بشعر البيئة ، ورأى أن اللين والضعف يكثر فى شعر الحاضرة وأنه ، ليس مقصورا على حاضرة المسلمين ، فهذا « عدى بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد » (١) وقد أفرد ابن سلام شعراء القرى فى طبقات ولم يدخلهم فى طبقات شعراء البادية ، لخلو شعر هؤلاء من اللين . وقد تأثر الأصمعى أستاذه أبا عمرو بن العلاء فى الاعتماد على أشعار الجاهليين فيما يخص الاستشهاد لتقعيد اللغة ، ودراسة الغريب ، فقد سئل الأصمعى عن جرير والفرزدق والأخطل فقال : « هؤلاء لو كانوا فى الجاهليين كان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون » (٢) . فهو معجب بشعرهم لكن غلب على طبعه الشعر الجاهلى . وقد تعرَّض الأصمعى لانتقادات بعض النقاد حول اختياره لبعض الأشعار فقد اختار الأصمعى شعرا للمرقش ، وتعجب منه ابن قتيبة « إذ أدخله فى متخيره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروىّ ، ولا متخيّر اللفظ ، ولا لطيف المعنى » (٣) . كما اختار أبياتا لخفَّة رويِّها (٤) ، وهى عند أبى هلال العسكرى من الشعر الفاتر المستهجن (٥) . وقد عدَّها أسامة بن منقذ من الشعر الركيك (٦) . على أن هذا لا يعنى تجريد الأصمعى من حاسته الفنية التى استحسنت شعر الحطيئة (٧) ، وشعر السيد الحميرى (٨) من الناحية الفنية وانتقصتها من المنظور الأخلاقى .

---

(١) طبقات فحول الشعراء . جـ ١ ، ص : ١٤٠ .

(٢) فحولة الشعراء . ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) المصدر السابق . الجزء نفسه . ص : ٨٥ .

(٥) انظر . الصناعتين . ص : ٧٤ .

(٦) انظر البديع فى نقد الشعر . تحقيق . د . أحمد أحمد بدوى و د . حامد عبد المجيد (مصر ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م) ص : ١٦٥ .

(٧) انظر الأصبهانى – الأغانى . جـ ٢ ، ص : ٥٨٨ .

(٨) انظر المصدر السابق . جـ ٧ ، ص : ٢٦٧٢ .

طرحناه لنص الأصمعى يتفق مع شخصيته الدينية ومكانته العلمية ، ويحقق شيئا من الاتفاق مع موقفه النقدى بشكل عام . كما أن بعض ملحوظات الأصمعى النقدية التى تناولت الشعر من حيث قيمه الأدبية ، لا تؤيد مع قلتها الرأى القائل : بأن الشعر الجاهلى أجود من الشعر الإسلامى فقد عاب بعض الشعراء الجاهليين الذين يصنعون شعرهم ، وكان يسمى زهير بن أبى سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر (١) . وقدَّم بشار بن برد على مروان بن أبى حفصة لأن هذا لم يتجاوز مذهب الأوائل (٢) .

وقد أخذت قضية عزل الدين عن الشعر تبرز بشكل واضح وصريح عند بعض النقاد الذين جاءوا بعد الأصمعى .

فقد وقف ابن المعتز من شعر أبى نواس موقفا دفاعيا ، متخذا الفصل بين الدين والشعر أساسا فى دفاعه ، حيث كان يستنشد شعر أبى نواس فى المجون ويعجب به ، وقد رد على رسالة ابن الأنبارى التى سبقت الإشارة إليها (٣) ، بقوله : « ولم يؤسس الشعر بانيه على أن يكون المبرز فى ميدانه من اقتصر على الصدق ، ولم يقر بصبوة ، ولم يرخص فى هفوة ولم ينطق بكذبة ولم يغرق فى ذم ، ولم يتجاوز فى مدح ، ولم يزوِّر الباطل ويكسبه معارض الحق ولو سلك بالشعر هذا المسلك لكان صاحب لوائه من المتقدمين أمية بن أبى الصلت الثقفى ، وعدى بن زيد العبادى ، إذ كانا أكثر تذكيرا وتحذيرا ومواعظ فى أشعارهما من امرئ القيس ، والنابغة » (٤) حيث رأى ابن المعتز أن الناس إنما يتناشدون شعر امرئ القيس وأضرابه .

---

(١) انظر الجاحظ . البيان والتبيين . جـ ٢ ، ص : ١٣ .

(٢) انظر الأصبهانى . الأغانى . جـ ٣ : ص ٩٩٣ .

(٣) انظر هذا الكتاب . ص ٩١ .

(٤) الحصرى . جمع الجواهر فى الملح والنوادر . ص ٣٣ . ٣٤ .

إن هذا المنهج الذى حدده الآمدى لموازنته لم يعط الفكرة الأخلاقية حقها من الاهتمام ، لأنه قد قرر قبل هذا أن « التجويد فى الشعر ليس علته العلم ، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم إذ كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء » (١) ولهذا انصب اهتمامه حول تحديد المعايير الحقيقية التى تحقق للشعر قيمه الأدبية وتشمل من الشعر « ألفاظه واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلام منه فى مواضعه ، وكثرة مائه ورونقه ، إذ كان الشعر لا يحكم له بالجودة إلا بأن تجتمع هذه الخلال فيه » (٢) . أما الغايات النفعية من حكم وآداب ، فإنها تزيد فى بهاء الكلام إن وجدت ، وإن لم توجد قام الكلام بنفسه (٣) . فقرر بذلك أن الأحكام الأدبية ليس من طبيعتها البحث عن الغايات الأخلاقية وتتبعها وهذا يؤكد فصل الشعر فى أساسه عن أى هدف أخلاق . والشاعر الذى يعتمد المعانى الفلسفية والحكمية ، يدعى حكيما ، أو يسمى فيلسوفا ولا يسمى شاعرا (٤) . كما أن « الشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ، لأنه قد يقصد إلى أنه يوقعه موقع الضرر » (٥) وربما قصد بالصدق هنا ما يقابل الكذب بمفهومه العادى .

وإذا ما تجاوزنا الآمدى إلى القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فإننا سنقف أمام ناقد نابه كان من أبين النقاد وأوسعهم شمولا فى معالجة قضية عزل الدين عن الشعر ، وذلك فى كتابه (الوساطة بين المتنبى وخصومه) . فقد تعرض المتنبى لسيب من الاتهامات والمآخذ التى لم تجتمع فى شعر شاعر قبله ولا بعده . فمن المعايب الأخلاقية التى أخذها النقاد وذوو البصر بالشعر على

---

(١) الموازنة . ص : ٢٥ .

(٢) المصدر السابق . ص : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٣) انظر المصدر السابق . ص : ٣٨١ .

(٤) انظر المصدر السابق . الصفحة نفسها .

(٥) المصدر السابق . ص : ٣٨٣ .

للمعيار الأخلاقى عند الجرجانى ما هو إلا نتيجة حتمية لرد الفعل القوى الذى نشأ أمام تحامل النقاد على شعر المتنبى ، خاصة أولئك الذين طعنوا فى شاعرية المتنبى من المنظور الدينى ، مما حدا بالقاضى أن يقرر بأن فساد العقيدة ليس سببا فى تأخّر الشاعر أيًّا كان معتقده قائلا : « والعجب ممن ينقص أبا الطيب ، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب فى الديانة .... فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدَّت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى ، وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ ، وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفجمين ، ولكنَّ الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر » (١) فالجرجانى قد أكد هنا كما أكد النقاد قبله على ضعف العقيدة ، وفساد المذهب فى الديانة عند المتنبى ، وإذا كان الصولى قد دافع عن أن الكفر لم يثبت على أبى تمام ببينة أو بإقرار . فإن القاضى الجرجانى لم يكن يقصد من دفاعه عن المتنبى الشهادة له بالعصمة ، وتبرئته من مقارفة الزلة ، وإنما كان قصده ، أن يلحقه بأهل طبقته ويضعه فى مكانه الطبيعى بين فحول الشعراء ، لئلا تكون سيئات المتنبى سبيلا إلى مصادرة شعره أو الغض منه كله أو بعضه (٢) . غير أن هذا الموقف التبريرى الذى اغتفر للمتنبى وقوعه فى فساد المعتقد لوقوع من تقدمه فى ذلك حتى الجاهليين ، يحسب ذلك على المتنبى وليس له ، لأن المتنبى قد وقف على أخطاء المتقدمين وعرفها ، فالأولى به أن يتجنّبها لا أن يتعمد الوقوع فيها ، أضف إلى ذلك ما هو أهم وهو أن سحب المعيار الدينى على الشعراء الجاهليين لا يستقيم ، لأن الإنسان المسلم الذى امتلأت نفسه بالإيمان وأدرك

---

(١) الوساطة . ص : ٦٣ – ٦٤ .

(٢) انظر المصدر السابق . ص ٤١٦ .

الإغضاء عن الشعراء فى ارتكاب بعض الانحرافات أمر قد توارد عليه كثير من النقاد ، لطبيعة الشعر التى تختلف عن طبيعة النثر ، حتى لو اضطر أولئك النقاد إلى إخضاع الشعر لعمليات التبرير والتأويل وطرق الاحتيال لالتماس الأعذار وتوجيه الشعر وجهة تختفى معها المآخذ والانحرافات أو تقل .

ولعل الشيء اللافت للنظر أن القاضى الجرجانى الذى نفر من المحاجة والجدال والمقايسة وكل أثر عقلى فى الشعر ، إنما كان يدافع عن شاعر اشتهر بإثبات خواطره الحكمية فى شعره . فانتفاع المتنبى بالحكمة وضرب المثل فى شعره أمر لا ينكر . وقد كانت حكمه ومازالت تحرك مكامن الخير والفضيلة فى النفوس وقد عرف تاريخ الشعر العربى شعراء كثرا ، مارسوا هواياتهم العقلية كما فعل المتنبى . منهم : مهيار الديلمى ، وأبو تمام ، والمعرى ، وغيرهم ، وكان بإمكان القاضى الجرجانى أن يوظف الاتجاه الحكمى فى شعر المتنبى ليخفف من وطأة الاتهامات التى دارت حول فساد الديانة عند المتنبى ومجافاة طبعه لقواعد الأخلاق ، خاصة وأن القاضى الجرجانى قد أورد كثيرا من شعر الحكمة عند المتنبى ، وعدَّ ذلك من درر الشعر وعيونه (١) . لكنه لم يبن على ذلك أحكاما أدبية ، لأنه لو فعل ذلك لأفسد اتجاهه فى فصل الدين عن الشعر .

وقد تكرر موقف التباين بين أمر الدين وأمر الشعر فى وظيفتيهما عند أبى هلال العسكرى . فالشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر وأفحله فى نظره بنى أكثره على أضداد الفضائل ، وهذا الذى سوَّغ للإسلاميين الوقوع فى مثل ذلك لأنه لا يراد من الشعر إلاَّ حُسْن اللفظ وجودة المعنى (٢) . وقد نقل عن بعض الفلاسفة أنه قيل له : « فلان يكذب فى شعره فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الأنبياء » (٣) .

---

(١) انظر الوساطة : ص ١٦٢ – ١٧٧ .

(٢) انظر الصناعتين . ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق . ص ١٥٥ .

والصرحاء » (١) . وقد رأى ابن سنان الخفاجى أن فحش المعنى لا يعد عيبا فى الشعر لأن الشعراء إنما يتفاضلون فى الصناعة ، سواء كان المعنى جميلا أو فاحشا (٢) فهو يردد رأى قدامة فى صنعة الشعر دون أن يعى أن قدامة جعل الفضائل أساسا لمعانى الشعر . أما المعرى فإنه كان يرى أن الزلات والهفوات ملازمة للشعراء « لأن الآية شهدت عليهم بالتخرص وقول الأباطيل » (٣) وقد حاول المعرى أن يخفف وطأة الاتهامات التى وجهت إلى المتنبى فيما يخص معتقده ، فأشار إلى أن المتنبى لم يكن نشازا فى مجتمعه فقد كان يتألَّه ويتدلَّه فى شعره مثل غيره من الناس كما أشار إلى أن « نطق اللسان لا ينبيء عن اعتقاد الإنسان لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينا ، وإنما يجعل ذلك تزيُّنا » (٤) فالمعرى لم يكشف فى موقفه هذا عن ضعف الرابطة بين الأخلاق والشعر فحسب ، بل جعل التخرص والأباطيل أصلا من أصول طبائع الشعراء عامة ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد استثنى المؤمنين الصالحين من عامة الشعراء . والمعرى لم يكن غافلا أو بعيدا عن استثناء المؤمنين من الشعراء (٥) ، ولكنه مبدأ التسامح أمام تمرد الشعراء حتى أصَّل الشر فى طبائعهم لاعتقاده بأن موضوعات الشر أنسب للشعر من موضوعات الخير . ويبدو أن النقاد الذين فصلوا بين الدين والشعر قد وقعوا فى الخطأ الذى وقع فيه أصحاب الاتجاه الأخلاقى فى النقد حين حصر هؤلاء الشعر فى موضوعات الخير ، ورأى أكثر الذين فصلوا بين الدين والشعر أن موضوعات الخير من معطلات الشعر ، فاشترك الفريقان فى موقف

---

(١) الإبانة عن سرقات المتنبى . تحقيق إبراهيم الدسوقى البساطى (مصر ١٩٦١ م) ص : ٢٤ .

(٢) انظر . سر الفصاحة . شرح عبد المتعال الصعيدى (مصر ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م) ص : ٢٧٦ .

(٣) رسالة الغفران . ص : ٤١٦ .

(٤) المصدر السابق . ص : ٤١٩ .

(٥) حيث أشار إلى ذلك الاستثناء فى موضع آخر . انظر . الكلاعى . أحكام صنعة الكلام . ص : ٤٦ .

ذلك إيمانا منهم بأنه ليس من طبيعة الشعر الخوض فى مثل هذه القضايا » (١) مع أنه من حق الشعر أن يخوض فى تلك القضايا بمنطق الشعر لا بمنطق تلك القضايا الفكرية . وهذا الموقف الذى سجله الدكتور محمد غنيمى هلال يتفق مع مواقف النقاد الذين فصلوا بين الدين والشعر من الوجهة التطبيقية عندهم ، حيث كانوا يوظفون المعيار الأخلاقى فى بعض تطبيقاتهم ، وفى تنظيرهم أحيانا ، وذلك إذا ما أحسوا أن هنالك خطرا على القيم الأخلاقية . وسيتضح ذلك إذا ما أشير إلى بعض مواقف هؤلاء النقاد من الوجهة العملية . خاصة إذا ما عرفنا أن أكثر النقاد توسعا فى معالجة قضية عزل الدين عن الشعر هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى المشهور بالقاضى ، والذى اشتهر بالفقه وتفسير القرآن ، وتولى قضاء الرى (٢) .

ولقد كانت الموازنة بين الشعراء من الأسباب الأولية التى نشأت حولها قضية عزل الدين عن الشعر ، اتضح ذلك من موازنة السيدة سكينة بنت الحسين بين الشعراء الغزليين ، وموازنة ابن أبى عتيق بين شعر عمر بن أبى ربيعة وشعر الحارث بن خالد المخزومى ، وكذلك الموازنة بين موضوعات الشعر ، وكيف أن الشعر يجود فى موضوعات الشر وتتأخر قيمته الأدبية فى موضوعات الخير ، ثم الموازنة بين شعر وشعر من خلال قضية الطبع والصنعة كما هو الحال عند الآمدى وتجاذبها طرفى الصدق والكذب فى العملية الإبداعية ، ثم عملية التوسط عند القاضى الجرجانى بين أبى الطيب المتنبى وخصومه ، وقد اصطبغت المواقف النقدية السابقة بصبغة تبريرية واضحة ومواقف دفاعية بارزة ، صاحبها شيء من المحاولات لإعطاء الشعر قيمه الأدبية مستقلة عن أية فكرة أخلاقية . وقد كان لبعض القضايا النقدية الأخرى أثر واضح فى قضية عزل الدين عن الشعر ، فقضية القديم والجديد فى الشعر العربى دفعت هذه

---

(١) النقد الأدبى الحديث . ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) انظر . ابن خلكان . وفيات الأعيان – تحقيق د . إحسان عباس (بيروت ١٩٧٠ م) جـ ٣ ، ص : ٢٧٨ – ٢٨١ .

أو ذاك ، فإذا انتهى الموقف الدفاعى لم يعد الفصل ممكنا أو ضروريا » (١) يضاف إلى ذلك ازدواج النظرة عند هؤلاء النقاد ، فتارة يعتمدون الاتجاه الفنى ويدافعون عنه ، وتارة يعتمدون الاتجاه الأخلاقى من وجهته النظرية فمن الناحية العملية تجد أنهم بالإضافة إلى اعتمادهم على اللفظ فى هيئته التركيبية ، والمعنى والنظام الذى يربط بينهما يعتمدون المعيار الأخلاقى فى الحكم على الشعر ، وذلك عندما يتعرضون لنقد المعانى المتمردة على المعتقد الدينى ، مثل ذلك ما روى عن ابن أبى عتيق من أنه كان لا يقر ابن أبى ربيعة فى مواقف كثيرة على مسلكه الفاحش فى غزله ، إذ كان يصفه بالعهر ويطلب إليه أن يعف فى غزله ، ويبتعد عن الفسق وعن إغواء النساء (٢) وقد عرفت سكينة بنت الحسين بعفافها وميلها إلى التزام الشعراء الغزلين بعادات الشعر العربى وتقاليده ، وكانت تؤاخذ الشعراء إذا خرجوا على تلك التقاليد ، فقد أخذت على الفرزدق إفشاء سره وسر من يحب (٣) . وكان الأصمعى يرى أن أبا نواس أفسد شعره بأقذار الخمور ، وأن الهجاء أفسد شعر الحطيئة (٤) . وقد خطّأ الآمدى عدى بن الرقاع فى ذكر البارى تبارك وتعالى حين جعل ربّه مرءا فى قوله :

وكفّك بسطة ونداك سحّ
وأنت المرء تفعل ما تريد (٥)

وكان يرى أن « كل مادنا من المعانى من الحقائق كان ألوط بالنفس وأحلى فى السمع ، وأولى بالاستجادة » (٦) .

---

(١) د . إحسان عباس . تاريخ النقد الأدبى عند العرب . ص : ٤٨٩ .
(٢) انظر الأصبهانى ، الأغانى . جـ ١ ، ص ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٦٨ .
(٣) انظر المصدر السابق . جـ ١٦ ، ص : ٥٩٤٥ .
(٤) انظر المصدر السابق . جـ ٢ ، ص : ١٧٠ .
(٥) انظر الموازنة . ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٦) المصدر السابق . ص : ١٤٠ .

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة وظيفة الشعر من منظور عربى ، وتتبعت الملامح التقريبية لمفهوم الشعر عند النقاد العرب ، وكيف تشكلت تلك الملامح من خلال تعريفات الشعر التى أثرت عن نقادنا القدماء وكذلك من خلال بعض الآراء النقدية التى تناولت طبيعة الشعر العربى متجاوزة أطره الخارجية إلى البحث فى جوهره وصلته بالفنون الأخرى . ومؤكدة وظائفه الأدبية وقيمه المعرفية .

ثم أشارت الدراسة إلى وظيفة النقد كما فهمها النقاد العرب وقد كشفت الدراسة عن وعى نقدى متميز ، وأصالة نقدية مستقله عند النقاد العرب فاهتمامهم بالشعر على أنه صناعة تعتمد الحذق والمهارة فى إتقانها جعلهم يهتمون بالنقد ويرتقون بوظيفتة إلى مستوى صنعتهم الشعرية ، حتى أصبح الناقد المؤهل عندهم عملة نادرة ، كندرة الشاعر المتميز . وقد اعتمد النقد عندهم على ركيزتين أساسيتين هما : الذوق المثقف ، والمعيارية التى استمدت قواعدها من مثالية الشعر العربى ، فى قيمه الأدبية والمعرفية .

كما حاولت هذه الدراسة أن تكشف عن ملامح الاتجاه الأخلاقى فى النقد العربى عند الجاهليين ، ثم عند الإسلاميين منذ نزول القرآن الكريم مسترشدة فى ذلك بموقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء ، وبتوجيه الرسول ﷺ لشعراء الدعوة الإسلامية ، وتصحيحه لبعض المفاهيم الجاهلية التى جاءت فى الشعر لتتفق مع وجهة النظر الدينية . ثم وقفت هذه الدراسة وقفة متأنية عند مفهوم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمهمة الشعر ومحاولاته التى كانت تهدف إلى طبع الشعر العربى بطابع إسلامى يميزه عن عادات وتقاليد الشعر الجاهلى المعرفية ، ويحدد دوره وفق منهج الفكر الإسلامى الصحيح . ولم يصل اهتمام الخلفاء الراشدين بتوجيه الشعر مثلما كان عليه عند عمر ، وكذلك خلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين . بل على العكس بدأ الشعراء بعد فترة الخلافة الراشدة يجدون تسامحا أمام تجاوزاتهم الأخلاقية عند بعض الخلفاء والولاة .

الأخلاق من وجهتها العملية ، وكذلك فيما يتعلق ببيان بعض العوامل والأسباب التى أفرزت قضية عزل الدين عن الشعر ، حيث كشف بعض تلك العوامل عن ازدواج النظرة عند أصحاب الاتجاه الفنى فى النقد الذين جمعوا فى نقدهم النظرى وكذلك التطبيقى بين الاتجاهين الفنى والأخلاق .

* * *

فهرس المراجع

ابن أبى سلمى . زهير .
ديوانه (بيروت ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م) .

ابن أبى عون .
التشبيهات ، تحقيق محمد عبد المعيد خان كمبردج (١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م)

ابن بسام . الشنترينى . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة . تحقيق د . إحسان عباس . (بيروت ٩٧٥) و (بيروت ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) .

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم النمرى الحرانى .
مجموع الفتاوى . نشر عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . (المغرب ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م) .

ابن حجر العسقلانى ، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل ، أحمد بن على .
١ – فتح البارى . تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباق (بيروت ١٣٧٩ هـ) .
٢ – الإصابة فى تمييز الصحابة (بيروت تصوير عن طبعة مصر ١٣٢٨ هـ) .

ابن حجة الحموى .
ثمرات الأوراق . تحقيق أبو الفضل إبراهيم . (مصر ١٩٧١ م)

ابن حزم الأندلسى . أبو محمد على بن أحمد بن سعيد .
رسائل ابن حزم . تحقيق د . إحسان عباس . (بيروت ١٩٨٣ م)

ابن منظور . محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين .
لسان العرب .

ابن هشام . أبو محمد عبد الملك المعافرى .
السيرة النبوية (مصر ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م) .

ابن وهب . أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب .
البرهان فى وجوه البيان . تحقيق د . حفنى محمد شرف (مصر ١٩٦٩ م) .

أبو الحسين . مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى .
صحيح مسلم (مصر ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م)
و (بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م)

أبو على القالى . إسماعيل بن القاسم البغدادى .
الأمالى (مصر ١٩٧٥ م) .

أبو نواس : الحسن بن هانئ .
ديوانه . نشر محمود كامل فريد (مصر الطبعة الأولى بدون تاريخ)

إحسان عباس . الدكتور .
تاريخ النقد الأدبى عند العرب (بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م)

أرسطوطاليس :
١ – فى الشعر . ترجمة . د . شكرى عياد . (مصر ١٩٨٦ م) .
٢ – علم الأخلاق . ترجمة . أحمد لطفى السيد (مصر ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٤ م) .
٣ – فن الشعر . ترجمة . عبد الرحمن بدوى (بيروت ١٩٧٣ م)

أسامة بن منقذ . أبو المظفر مرشد بن على بن مقلد بن نصر الكنانى الكلبى الشيرازى . البديع فى نقد الشعر . تحقيق . د . أحمد أحمد بدوى ود . حامد عبد المجيد (مصر ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م) .

البطليوسى . ابن السيد .

الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب . (بيروت ١٩٧٣ م) .

البغوى . أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء .

شرح السنة . تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

التنوخى .

المدونة الكبرى (مصر ١٣٢٣ هـ) .

التوحيدى . أبو حيان .

١ — المقابسات . تحقيق . حسن السندوبى (مصر ١٩٢٩ م) .

٢ — الإمتاع والمؤانسة . نشر أحمد أمين ، وأحمد الزين (بيروت بدون تاريخ) .

الثعالبى . أبو منصور .

يتيمة الدهر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٧٩ م — ١٣٩٩ هـ) .

ثعلب . أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى .

مجالس ثعلب . تحقيق . عبد السلام محمد هارون (مصر ١٩٦٠ م) .

الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر .

١ — الحيوان . تحقيق . عبد السلام محمد هارون (مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م) .

٢ — البيان والتبيين . تحقيق . حسن السندوبى (مصر ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م) .

٣ — رسائل الجاحظ . رسالة فى الجد والهزل . تحقيق . عبد السلام محمد هارون (مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م) .

٢ – جمع الجواهر فى الملح والنوادر ، نشر محمد أمين الخانجى (مصر ١٣٥٣ هـ) .

الحطيئة . جرول بن أوس العبسى .
ديوانه ، تحقيق . د . نعمان محمد أمين طه (مصر ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) .

الربيعى . د . محمود .
فى نقد الشعر (مصر ١٩٧٧ م) .

روز غريب .
النقد الجمالى وأثره فى النقد العربى . (بيروت ١٩٥٣ م) .

رينيه ويليك وأوستن وارين .
نظرية الأدب . ترجمة . محيى الدين صبحى .
(دمشق ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م) .

الزبرقان بن بدر .
ديوانه . تحقيق . د . شعود محمود عبد الجبار . (بيروت ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) .

الزمخشرى . جار الله أبو القاسم محمود بن عمر .
١ – أساس البلاغة . (مصر ١٩٦١ م) .
٢ – الكشاف . (بيروت – تصوير بدون تاريخ) .

السبكى . تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى .
طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق . عبد الفتاح الحلو ، د . محمود الطناحى (مصر ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م) .

سحيم . عبد بنى الحسحاس .
ديوانه . تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى (مصر ١٣٦٦ هـ – ١٩٥٠ م) .

العسكرى . أبو هلال . الحسن بن عبد الله .

الصناعتين . تحقيق د. مفيد قميحة . (بيروت ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) .

عصفور . د . جابر أحمد .

مفهوم الشعر . (مصر ١٩٧٨ م) .

العقاد . عباس محمود .

بين الكتب والناس . (مصر ١٩٥٢ م) .

عليان . د . مصطفى عليان عبد الرحيم .

تيارات النقد الأدبى فى الأندلس (بيروت ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م) .

العمرى . د . أحمد جمال .

الشعراء الحنفاء . (مصر ١٩٨١ م) .

العميدى . أبو سعيد محمد بن أحمد .

الإبانة عن سرقات المتنبى . تحقيق إبراهيم الدسوقى البساطى (مصر ١٩٦١ م) .

الغزالى . محمد بن محمد الطوسى . أبو حامد .

إحياء علوم الدين . (بيروت بدون تاريخ) .

غنيمى هلال . د . محمد .

١ — النقد الأدبى الحديث . (مصر بدون تاريخ) .

٢ — دراسات ونماذج من مذاهب الشعر ونقده (مصر بدون تاريخ) الفارابى . أبو نصر .

جوامع الشعر . ملحق بتلخيص كتاب الشعر لأرسطو طاليس .
تحقيق د . محمد سليم سالم (مصر ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .

كرمبى . لاسل آبر .

قواعد النقد الأدبى . ترجمة . محمد عوض محمد (مصر ١٩٥٤ م) .

الكلاعى . ابن عبد الغفور .

إحكام صنعة الكلام . تحقيق . د . محمد رضوان الداية (بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) .

المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد .

١ – البلاغة . تحقيق د . رمضان عبد التواب (مصر ١٩٦٥ م) .

٢ – الكامل (مصر ١٩٥١ م) .

٣ – رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها . ضمن نواد المخطوطات . تحقيق عبد السلام محمد هارون .
(مصر ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٣ م) .

٤ – التعازى والمراثى . تحقيق محمد الديباجى (دمشق ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م) .

محمد حسن عبد الله . الدكتور .

مقدمة فى النقد الأدبى . (الكويت ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م) .

المرزبانى . أبو عبيد الله . محمد بن عمران بن موسى .

الموشح . تحقيق . على محمد البجاوى . (مصر ١٩٦٥) .

المرزوقى . أبو على أحمد بن محمد بن الحسن .

شرح ديوان الحماسة . تحقيق . أحمد أمين . وعبد السلام محمد هارون (مصر ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م) .

مسكويه . أبو على أحمد بن محمد .

تهذيب الأخلاق . (مصر ١٣٠٥ هـ) .

النمرى . يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر .
الاستيعاب فى أسماء الأصحاب . تحقيق على محمد البجاوى (مصر بدون تاريخ) .

هدارة . د . محمد مصطفى .
اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى . (مصر ١٩٦٣ م)

هوراس .
فن الشعر . ترجمة . د . لويس عوض (مصر ١٩٧٠ م) .

الواقدى . محمد بن عمر .
كتاب المغازى . تحقيق . مارسدن جونس . (بيروت ١٩٦٦ م) .

وهبة . مجدى .
معجم مصطلحات الأدب . (بيروت ١٩٧٤ م)